العدد 19 تشرين الثاني 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

فرنسا من هنري الاول إلى فيليب الاول: انتقال العرش وتطور الملكية الفرنسية في القرن الحادي عشر(1031-1108م)

م. د علي رضا حذية

رئاسة جامعة سومر ذي قار العراق

ali.rdaa@uos.edu.iq

الملخص.

يُعد هنري الأول ثالث ملوك الأسرة الكابية في فرنسا، وقد ورث العرش عن والده روبيرت التقي، لكنه واجه خلال حكمه تحديات سياسية كبيرة، منها صراعات داخل العائلة المالكة وضعف سلطته أمام النبلاء الإقطاعيين، وقد تميز عهده بجهود الحفاظ على وحدة العرش الفرنسي في ظل تفكك السلطة المركزية، وزواجه من (**آن الكييفية**) ساهم في تقوية العلاقات مع الشرق المسيحي.

أما فيليب الأول فقد خلف والده وهو في عمر صغير، وحكم لمدة طويلة قاربت نصف قرن، تميزت بتعزيز الوراثة الكابية، وتوسيع محدود للدومين الملكي، لكن عهده أيضاً شهد نزاعات دينية حادة مع البابوية، بسبب زواجه غير الشرعي من بيرترادا، ما أدى إلى حرمانه الكنسي، رغم الاضطرابات، مهد فيليب الطريق أمام صعود الدولة الملكية المركزية في عهد خلفائه.

الكلمات المفتاحية: هنري الأول – فيليب الأول – فرنسا – البابوية.

Dr. Ali Reza Hadhia Al Hatem
Presidency of Sumer University, Dhi Qar, Iraq

Abstract

Henry I, the third king of the Captain dynasty in France, succeeded his father Robert the Pious. His reign was marked by internal dynastic conflicts and limited royal authority in the face of powerful feudal lords. Henry struggled to maintain the unity of the crown amid decentralization, and his marriage to Anne of Kiev established symbolic ties with the Christian East.

Philip I, Henry's son, ascended the throne as a child and ruled for nearly five decades. His reign saw modest expansion of the royal domain and consolidation of Captain succession. However, it was also defined by prolonged conflict with the papacy due to his controversial marriage to Bertrade, which led to repeated excommunications. Despite these challenges, Philip laid crucial groundwork for the growth of centralized royal authority in France under his successors.

Keywords: Henry I - Philip I - France – Papacy.

المقدمة.

تكمن أهمية دراسة عهد هنري الأول وابنه فيليب الأول في أنه يمثل مرحلة حاسمة في تطور الملكية الفرنسية، حين كانت السلطة الملكية ضعيفة ومهددة من قبل القوى الإقطاعية والكنيسة، لكنه شكّل أيضًا بداية تدريجية لترسيخ الوراثة الكابية واستقلال الحكم الملكي، ما مهّد لبناء الدولة الفرنسية المركزية لاحقًا.

بدأت الدراسة من أوائل القرن الحادي عشر (تولي هنري الأول الحكم عام 1031م) حتى أوائل القرن الثاني عشر (وفاة فيليب الأول عام 1108م)، وهي مدة انتقالية شهدت صراعات دينية وسياسية داخلية وخارجية.

ركزت الدراسة على المملكة الفرنسية في عهد أسرة ال كابية آنذاك، حيث تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول فهم طبيعة السلطة الملكية في فرنسا خلال القرنين الحادي عشر وبدايات الثاني عشر، من خلال تحليل عهد هنري الأول وابنه فيليب الأول، ومدى قدرة هذه الملكية الكابية الناشئة على تثبيت سلطتها في مواجهة القوى الإقطاعية المتنامية، وتحديات الكنيسة، خاصة في ظل صراعات شرعية الحكم وحرمان الملك من الكنيسة.

ومن تلك التساؤلات :-

- إلى أي مدى تمكّن هنري الأول وفيليب الأول من فرض سلطتهما على النبلاء الإقطاعيين في فرنسا ؟
- هل كان لزواج الملك هنري الاول اثر في عودة العلاقات الدينية بين الشرق والغرب؟
- كيف أثّرت النزاعات مع البابوية على استقرار الحكم الملكي في فرنسا؟

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تحليل الروايات الواردة من المصادرة التاريخية.

وقسمت الدراسة الى مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور رئيسية جاء المبحث الاول بعنوان تولي هنري الاول عرش فرنسا عام(1031-1060م) والذي استلم الحكم خلفاً لأبيه روبيرت التقي، وعمل على اعادة نشاط الدومين الملكي، كما ساهم بأعاده العلاقات مع المانيا وهي الدولة التي كانت جزء كبير من الدولة الفرنجية، ولم يهتم هنري بعملية الزواج وكان متخوفاً من النساء ، بسبب ما جلبته امه من دمار كبير لفرنسا بعد سيطرتها على البلاط الفرنسي، لكن الواقع حتم عليه ان يتزوج من (**آن الروسية**) لتنجب له وريث شرعي وهو فيليب الاول الذي سوف يقود المملكة بعده، اما المبحث الثاني فكان بعنوان انتهاء عهد الوصاية على فيليب الأول واستلامه حكم فرنسا وتوسيع سلطة الدومين الملكي، وتضمن ذلك المبحث سيطرة بلدوين على الملك الشاب من خلال الوصاية عليه ، وحدث في تلك المدة سيطرة الملك التابعي لفرنسا وليم الفاتح على انكلترا، حتى كان لبلدوين وفيليب موقف الصمت اتجاه ذلك الامر، وذلك لسببين الاول ان وليم اصبح نداً لهم ومنافساً قوياً، والثاني زواج وليم من ابنت بلدوين وصي فيليب، وبعد انتهاء مدة الوصاية وبلوغ فيليب العرش تزوج مرتين الاولى شرعية بمباركة الكنيسة، والثانية لم تكن شرعية بل اعتبرتها الكنيسة من المحظيات وعليه الطلاق منها فوراً والرجوع الى زوجته؛ بينما كان المبحث الثالث بعنوان فرنسا من الاستقرار السياسي إلى الصراع الكنسي: فيليب الاول والبابوية، اي بعد سنوات من الاستقرار الداخلي وتجنب فيليب فرنسا الحروب الداخلية ، لكن المشاكل مع الكنيسة استمرت حتى حرمان الملك الفرنسي دينياً من الكنيسة وسياسياً من المشاركة بالحملة الصليبية الاولى وانتهى ذلك النزاع بين الطرفين بعد وفاة زوجته الاولى ومباركة الكنيسة له بالزوجة الثانية رسمياً بعد سنوات سئم الطرفين من ذلك الامر.

تمهيد.

مع تفكك الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، برز الملك كلوفس (Clovis)(493-511م) [1] الذي اعتنق المسيحية، وأسّس مملكة فرنجية متماسكة تمركزت في شمال بلاد الغال[2]،واستمرت

---

[1] كلوفس: في سنة ٤٩٦م اعتنق كلوفس (ملك الفرنجة الميروفنجين) الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي، إذ تم تعميده مع ثلاثة آلاف من كبار رجاله على يد اسقف مدينة ريمس الفرنسية، وكان لذلك الحدث أهمية كبيرة في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، فلقد شبه البابا جريجوري التوري اعتناق كلوفس المسيحية الكاثوليكية باعتناق الامبراطور البيزنطي قسطنطين الأول المسيحية وأطلق عليه اسم قسطنطين الجديد، وترتب على اعتناق كلوفس المسيحية على المذهب الكاثوليكي نتائج سياسية إيجابية بالنسبة للفرنجة على الصعيدين الداخلي والخارجي. ينظر: مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، عمان ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، 2004، ص ٤٢.

[2] بلاد الغال : هو الاسم القديم للمنطقة الواقعة في اوربا الغربية والتي تشمل فرنسا الحالية ، بلجيكا، غرب المانيا وشمال ايطاليا ،غزتها شعوب متعددة كالرومان والكلت والجرمان، وقد ارتبط اسم هذه المنطقة بالفرنجة ، لانهم استوطنوا فيها واستقروا على نحو دائم ، فاشتق اسم فرنسا من اسمهم . للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود عبد الواحد محمود القيسي، العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية (768–814م) اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بغداد ، 2003، ص21.

سلالته، المعروفة بالميروفنجيين (Merovingiens)(450–751م)[3]، في الحكم حتى القرن الثامن الميلادي؛ وقد شهدت هذه المدة تراجعاً تدريجياً في السلطة الملكية، وتعرضت المملكة خلالها لعدة انقسامات وتغيرات داخلية، ما أضعف الحكم المركزي، هذا التراجع أفسح المجال لظهور سلالة جديدة، وهم الفرنجة الكارولنجيين (Carolingiens)[4]، الذين حلّوا محل الميروفنجيين نهائياً عام 751م[5].

ويُعد شارلمان (Charlemagne) (768-814م)[6] أبرز ملوك هذه السلالة، ومنه اشتُق اسمها، وتمكن شارلمان من توسيع نفوذ المملكة ليشمل أجزاء واسعة من أوروبا الغربية، بما فيها إيطاليا[7] وساكسونيا[8] وشبه الجزيرة الإيبيرية، وتُوّج إمبراطوراً عام 800م[9]، في خطوة شكلت إعادة إحياء رمزي

---

[3] الميروفنجيين : هي الأسرة الفرنجية التي حكمت غالة من عام 486حتى عام ٧٥١ م ، ومؤسسها كلوفس الذي يرجع اليه الفضل بمد حدود الفرنجة غرباً حتى خليج بسكاي والمحيط الاطلسي جنوباً. ينظر: هارتمان و باركلاف ،الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف ، مصر ، 1970، ص114.

[4] الاسرة الكارولنجية : وهي الاسرة التي تمثل العصر الثاني لتاريخ الفرنجة ، و يبدأ تاريخ الدولة الكارولنجية من عام 751م ؛ بتتويج بيبن القصير (751–768 م) ناظر القصر ملكاً على دولة الفرنجة ، ويعتبر الإمبراطور شارلمان (814–768م) هو المؤسس لهذه الإمبراطورية التي تم تقسيمها لقسمين الجزء الشرقي (المانيا) والقسم الغربي (فرنسا) ، استمرت الاسرة الكارولنجية في المانيا حتى سنة 911م ، وفي فرنسا حتى سنة 987م. ينظر: محمود القيسي ، المصدر السابق ، ص40.

[5]Oman C. ,The Dark Ages (476-918) , London , 1914 , P, 325-326.

[6] شارلمان : هو جرماني الاصل لكنه، والذي برهن على قيادة الدولة الكارولنجية، كان جسوراً غير متهور وسياسياً بارعاً قديراً في شؤون الحكم والادارة، وظهر في اعين معاصريه نموذجاً عسكرياً يجب طاعته، وترجع شهرة شارلمان لما انجزه في المجال الداخلي والخارجي، فقد كانت اصلاحاته الداخلية علامة بارزة في عصره، كما كانت حروبه التي اتخذت الطابع الديني عملاً رائعاً في نظر معاصريه، وصورت اعماله بطريقة اسطورية. ينظر:لبنى رياض محمد حمزة حسين : تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، 2015، ص129.

[7] ايطاليا: تمتد شبه الجزيرة الإيطالية من اليابس الأوروبي باتجاه الجنوب الشرقي لتقسم البحر المتوسط إلى حوضين: أحدهما شرقي والآخر غربي، ويحدها من الشمال مرتفعات الألب ، ومن الشرق البحر الأدرياتيكي ، ومن الجنوب البحر الأيوني والبحر المتوسط ، ومن الغرب يحدها البحران الليجوري والتيراني، وقد عانت إيطاليا في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر من الضعف والفوضى السياسية ، وسقطت فريسة لقوى متعددة تنازعت فيما بينها على امتداها الجغرافي ، حتى اصبحت مطمعاً يتنافس عليها الاعداء في الداخل والخارج ، كما انقسمت ايطاليا الى عدد من الوحدات السياسية ، ففي شمال ايطاليا كانت المملكة اللمباردية التي تأسست عام (568م) وحكامها اللمبارديين ،اما الوسط الايطالي كانت الممتلكات البابوية ، بينما تنافس على الجنوب الايطالي قوى عديدة تمثلت بالممتلكات البيزنطية ، بالأضافة الى ستة دوقيات لمباردية تشترك في حدودها مع الممتلكات البيزنطية هي (سالرنو ، بنفنتو ، كابوا ، جيتا ، امالفي ، ونابولي) ، وقد تأرجحت هذه المدن بين الاستقلال الايطالي وبين الولاء البيزنطي ينظر: محمد خميس الزوكة ، اوربا دراسة في الجغرافية الاقليمية ، الاسكندرية ،1999، ص 525؛ وفاء مختار غزالي، البابا يوحنا العاشر (914–928م)، مجلة العصور الوسطى والتاريخ الاسلامي ، العدد 1، المجلد 10 ، جامعة الازهر ، مصر 2016، ص 315–316؛ محمد ابراهيم حسن ، جغرافية اوربا الاقليمية ، المكتبة المصرية للنشر والتوزيع ، 2014 ، ص151.

[8] سكاسونيا: مقاطعة في شرق ووسط المانيا تقدر مساحتها ب 18300كم^2. ينظر: سعد البازغي ، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1999، ص366.

[9] نجح شارلمان بالقضاء على المملكة اللمباردية اريوسية المذهب وخلص البابوية من خطر يهدد استقلالها قرنين من الزمن ، كما ازال عرش السكسون واخضعهم الى سيطرته ، اذ ارد من تلك الحرب القضاء على بقايا الوثنية الجرمانية ، بينما كانت حروبه ضد المسلمين هو اول رد مسيحي على التوسع الاسلامي في اسبانيا، واستطاع شارلمان من تلك الحروب ان يمد اطراف دولته لتشمل جانباً كبيراً من اوربا الغربية وان يوحد العالم المسيحي تحت دولته العظيمة، تعرض البابا ليو الثالث(Leo III) (750–816م) في الخامس والعشرون من نيسان الى الاهانة على يد مجموعة من سكان روما ، الذي اتهموه في اخلاقه الشخصية ، وانقضوا عليه في احد شوارع روما واوسعوه ضرباً واودعوه في السجن ، لكنه تمكن من الهرب الى غالة يطلب العون من شارلمان ، لذا اتجه الاخير الى روما لعلاج الازمة واعادة الاستقرار الى الكنيسة الرومانية، اذ

للإمبراطورية الرومانية الغربية، غير أن هذه الإمبراطورية لم تدم طويلاً بعد وفاة شارلمان، إذ أدت الخلافات بين ورثته إلى تقسيمها بموجب معاهدة فردان (Verdun) عام 843م[10]، والتي أسست لمملكتين فرنجيتين مستقلتين: مملكة غربية وأخرى شرقية، تمثلان النواة التي ستنشأ عنها لاحقاً كل من فرنسا وألمانيا[11].

وفي عام 888م ولأول مرة منذ اعتلاء الكارولنجيين للعرش عام 751م، اعتلى شخص من خارج هذه السلالة عرش المملكة الفرنجية الغربية(فرنسا)، وهو أودو (Odo)(888-898م) [12]، الذي حكم بين عامي 888 و898م، اذ ينحدر أودو من أسرة عُرفت لاحقاً في المؤلفات التاريخية باسم "الروبرتيين"، وهم في الواقع الأسلاف المباشرون لسلالة ال كابيه(987-1328م) التي ستصبح فيما بعد السلالة الحاكمة في فرنسا.

شهدت المدة من(888–987م) حالة من التناوب بين ملوك من السلالة الكارولنجية وآخرين من خارجها، من بينهم شقيق أودو، روبيرت (Robert)[13]، الذي اعتلى العرش لمدة وجيزة بين عامي(922 و923م)؛

وصل روما وعقد محكمة علنية برئاسته في الثالث والعشرين عام 800م ، وظهر البابا وخصومه امام العاهل الفرنجي وقضاته واقسم البابا بالكتب المقدسة انه بريء من التهم الموجهة اليه ، وكان على المتامرين صعوبة بالغة ان يحضروا اثنين وسبعين شاهداً وهذا العدد تطلبه قوانين الكنيسة ، لذا قرر القضاة تبرئة البابا وصدر حكم الاعدام بحق المتآمرين ، لكن البابا تدخل وغير الحكم الى النفي ، وبعد يومين من تبرئة ليو الثالث ، تم تتويج شارلمان في الخامس والعشرين عام 800م، على يد البابا اثناء الاحتفال بالعيد المجيد ، في حين استخدمت البابوية مسألة تتويج شارلمان امبراطور للرغبة في بسط سيادتها على الغرب الاوربي. ينظر: محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ط2، 1986، ص 176–177؛ هـ . أ . ل . فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العريني، دار المعارف، مصر ، 1957 ج1، ص88–90؛ اينهارد ، سيره شارلمان ، ترجمة : عادل زيتون ، دار الاحسان , دمشق ، 1989.
، ص142–143.

[10] نصت اتفاقية فردان على حصول لويس الألماني على المناطق الألمانية الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الراين ، بالإضافة إلى مقاطعات ؛ ماينز ، وورمز ، وسبير على الضفة اليسرى للنهر المذكور، بالإضافة الى سكسونيا وهذه المنطقة تتكلم اللغة الألمانية ، بينما حصل شارل الاصلع على القسم الغربي للإمبراطورية (فرنسا) اي بدء من الشمال الاسباني التي يضم كل من نوستريا ، واكيتانيا ، وبروغنديا ، واقليم الثغور الإسبانية، واسكوت ، والسيدان ، ووادي المارن واقليم اللونية ، وتسود على تلك المناطق لغة الرمانس المحرفة عن اللاتينية اي اللغة الفرنسية حالياً, وتقع في الجزء الغربي لنهر الرون والساؤن ، بينما حصل الاخ الأكبر لوثر الاول ، على الأراضي التي ضمت كل من العاصمتين روما وآخن ، وتبدأ من مناطق الفريز أو ما يسمى الأراضي شديدة الانخفاض ، اذ تمتد من قصر اخن واقليم الاردين والتي اطلق عليها اسم لوثارنجيا ، في حين احتفظ لنفسه باللقب الإمبراطوري ، وفي نهاية التقسيم أخذت العهود والمواثيق على هؤلاء الإخوة ، ورحل كل منهم إلى الجزء المخصص له من الإمبراطورية ليباشر أعماله هناك. ينظر: فرح نعيم ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، منشورات جامعة دمشق ، 2000–2001 ، ص76؛ وفاء جوني ، المصدر السابق ، ص341؛ هـ . أ . ل . فشر، المصدر السابق، ص100؛
AB,Augustine.thiener(AB.),AnnalsEcclesiastici(820-863),tomus Quartusdecimus, (Vatican, MDCCCLXVIII), P.27.

[11] AB,Augustine, op, cit,p.27.

[12] اودو: هو ابن روبيرت القوي كونت باريس تم انتخابه ملكاً لفرنسا عند عزل شارل السمين ٨٨٧م ، وأن ذكرى شارلمان وعظمته بقت خالدة في اذهان المعاصرين والتمسك والإخلاص للبيت الكارولنجي ، الأمر الذي اثار نزاعاً طويلاً استمر قرنا من الزمان بين البيت الكارولنجي والبيت الباريسي الروبرتي حول الاستئثار بحكم فرنسا. ينظر: علي رضا حذية، فرنسا في عهد الاسرة الكابية (987–1032م)،مجلة ابحاث في العلوم التربوية والانسانية والآداب واللغات، العدد 34، 2025، ص541؛
Medieval France: An Encyclopedia, New York, 2006, P.625.

[13] روبيرت: هو كونت فرنسا خلفاً لأخيه اودو عام 922م، لكن شارل البسيط رفض ذلك التنصيب وهاجمه بالقرب من مدينة سواسن وقضى عليه عام 923م. ينظر: سيرهنك اسماعيل، حقائق الاخبار عن دول البحار ، مصر،1894، ص59.

وقد استمر هذا التناوب حتى نهاية السلالة الكارولنجية بوفاة آخر ملوكها، لويس الخامس(Louis v)(986-987م)[14]، عام 987م، دون أن يترك وريثاً شرعياً، وفي أعقاب ذلك، تولّى العرش الفرنسي هيو كابيه (Hugues Capet)(987-996م) [15]، حفيد روبيرت الأول(Robert l) [16]، رغم وجود مطالب كارولنجي بالعرش وهو شارل الاول (Charles l)[17] ، دوق اللورين السفلى، غير أن هيو كابيه نجح، بخلاف من سبقوه من أفراد أسرته، في ترسيخ سلطته وتثبيت أركان حكمه، وتمكّن من ضمان انتقال العرش إلى ابنه روبير التقي (Robert le Pieux)(996-1031م) [18]، الذي تُوّج ملكاً في حياة والده وحكم بين عامي (987 و1031م)[19]،وبتولي روبيرت التقي العرش، تأسست رسمياً السلالة الكابية، التي استمرت في حكم فرنسا لعدة قرون، وخلفه في الحكم ابنه هنري الأول (Henri I) عام 1031م، وهو الشخصية التي تتمحور حولها دراستنا الحالية.

المبحث الاول

تولي هنري الاول عرش فرنسا عام(1031-1060م)

وُلد الملك هنري الأول في الرابع من أيار عام 1004م، ويُعد ثالث ملوك اسرة ال كابية، وقد خلف والده روبيرت التقي في حكم فرنسا، ورغم مكانته الملكية، لم يبلغ هنري مستوى الهيبة أو النفوذ الذي تمتّع به كل

---

[14] لويس الخامس: ملك فرنسا (986–987م) اخر الملك الفرنجة الكار ولنجيين، توفي من غير عقب فاختار النبلاء الفرنسيين هيو كابيه خليفة له ، وبذلك انتقل العرش من الاسرة الفرنجية الى الاسرة الكابية. ينظر: عزيزة فوال بابيتي، موسوعة الاعلام العرب والمسلمين العالميين، دار الكتب العلمية، 2009 ، ص53.

[15] هيو كابيه: هو ملك فرنسا عام 987م ومؤسس العائلة الكابية، عمل على اشراك ابنه روبيرت التقي معه في الحكم للقضاء على نظام الوراثة الفرنجية وتأسيس مبدأ وراثة فرنسية جديدة له ولعائلته ، توفي عام 996م. ينظر: سعد البازغي ، المصدر السابق، ص 342.

[16] روبيرت الاول : الملقب بالقوي ،هو الأصل الذي انحدرت منه أسرة آل كابيه، فقد برز روبيرت عندما حارب النورمان عهد شارل الأصلع ، وأصبح من أعظم الكونتات الذين تصدوا لهم ، وقد أعطاه شارل الأصلع المدن المحصورة بين اللوار والسين ، وتمثلت في (أنجو، وبلوي ، و تور ، وبعض المدن الأخرى) ، خّلف ولدين صغيرين لم يكن لهما حق في وراثة أبيهما في هذا الإقليم، إلا أنهما كانا في مثل شجاعة أبيهما ، فقد تمكن الابن الأكبر أودو كونت باريس من استعادة بعض المدن ، والوصول إلى حكم باريس ، وقد ظلت تلك المقاطعات تابعة لإرث العائلة لمدة طويلة . ينظر:
Richer, Histoire de France (888- 995), ed. & trad. R. Latouche .tom. I, Paris, 1930, 17.

[17] شارل الاول: هو ثاني ابناء لويس الرابع ملك فرنسا ، لم ينل بعد وفاة ابيه حظّاً من مملكته ، لكن في عام 977م حصل على مملكة اللورين والحقها بفرنسا، وبعد موت ابن اخيه لويس الخامس عام 987م حرمه هيو كابيه من حكم فرنسا، وقد جمع جيشًاً لمحاربته القي القبض عليه عام 991م وسجن في مدينة اورليان حتى وفاته عام 992م، وقد خلف ولدين استوطنا المانيا وانقرضت ذريتهم في القرن الثالث عشر. ينظر: علي رضا حذية، المصدر السابق، ص544؛ سليم بستاني ، دائرة المعارف ، المجلد العاشر ، مصر، 1898، ص2801.

[18] روبيرت التقي : هو حاكم فرنسا ولقب بروبيرت الثاني ، لأنه ثاني ملوك الاسرة الكابية، والذي استلم الحكم بعد وفاة ابيه واكمل العمل على نهجه ، وقد اكتسب لقب التقي، بسبب تواضعه واخلاقه الحسنة وحبه لفعل الخير والصلاح لدرجه انه جرى الاعتقاد ان ذلك الملك يستطيع معالجة مرض الغدة اللمفاوية (مرض الجدري) بمجرد لمس المريض من يده، كما يحب الانشاد على المقرأ في الكنيسة، بل كان فارساً يحب الصيد والحروب وادخل نفسه في حروب عديدة، ولم يخش ان يعرض نفسه الى الخطر ، بالإضافة انه عشق ابنة عمه والتي تزوجها زواجاً غير شرعي بعد طلاق زوجته الاولى سوزانا، فعرض نفسه الى الحرمان ، وهو احد قرارات الكنسية الكاثوليكية. ينظر: نور الدين حاطوم :تاريخ العصر الوسيط في أوربا ،ج١،(دار الفكر ، دمشق د–ت) ،ص٦٤١؛ نيفين ظاهر حسيب الكردي ،الاوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوربي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب , الجامعة الإسلامية , غزة ، 2000، ص٥٢.

[19]هنري الاول: هو الابن الثاني لروبيرت التقي ، واطلق عليه تلك التسمية حباً بعمه هنري الاول دوق برغنديا الذي توفي عام 1002م ولم يترك ورثة شرعيين على حكم برغنديا، وقد توجه ابيه مشاركاً معه الحكم عام 1027م رغم معارضة امه على ذلك التتويج ، ثم استلم زمان الحكم على فرنسا عام 1031م بعد وفاة ابيه. ينظر:
Kathleen Nolan,Capetina Women, Palgrave Macmillan, 2003,p.16.

من والده وجده هيو كابيه مؤسس السلالة، بل كثيراً ما وُصف عهده بالضعف والاضطراب، ورغم أنه أظهر في بعض المواقف شجاعة فروسية، فإن قدرته على مقاومة خصومه الكبار ظلت محدودة، حيث افتُتح عهده بأزمة داخلية حادة تمثلت في صراع على العرش مع شقيقه الأصغر، روبيرت الثالث (Robert III)(1011–1079م) [20] ، الذي طالب بالتاج مدعوماً من والدتهما، الملكة كونستانس(Constance)[21]، التي كانت تُظهر ميلاً واضحًا لصالحه[22]، وقد استغل أودو(Odo) كونت بلوا، هذا النزاع العائلي، فدخل على خط الصراع مؤيداً موقف الملكة وولدها، مما زاد من تعقيد المشهد السياسي في مطلع عهد هنري الأول، وكان هنري شخصية مثيرة للجدل، خاصة في علاقته مع الكنيسة، فقد أثار استياء رجال الدين بسبب ميله إلى استغلال المناصب الكنسية، إذ أقدم على بيع الأسقفيات والمواقع الدينية دون تردد، مما عدّه رجال

---

[20] روبيرت الثالث: هو الابن الثالث لروبيرت التقي، وسمي على اسم جده روبيرت القوي ، وحدث خلاف على تتويجه مع ابيه مشاركاً للحكم عند وفاة اخيه اودو عام 1025م، ارادت امه ان يكون هو الوريث الشرعي لابيه ، لكن الاخير رفض وتوج ابنه هنري معه عام 1027م. ينظر:
Kathleen Nolan, op. cit, p.18.

[21] كونتانس: هي ابنه ملك الارل، وقد اصبحت زوجة الملك روبيرت التقي عام 1005م، وقد انتقد رجال الدين بقوة ذلك الزواج ، ويرجع ذلك الزواج الى قيام الوفاق بين زوجها روبيرت وابن عمها فولك كونت نيرا ، واستئناف التحالف بين العائلة الانجيفية وال كابيه ، وبذلك قامت كونتانس بجلب العديد من الاتباع والموالين للبلاط الفرنسي، وادخلت الملابس والعادات والتقاليد المختلفة على فرنسا، واصبح هناك صراع بين فصيلين داخل القصر الاول مؤيد لرجال الدين ومدعوم من زوجته السابقة بيرثا ، والثاني من كونتانس واقاربهما الذين جلبتهم معها ، وفي السنوات الاولى من الزواج انجبت كونتانس طفلين الاول هيو، وهنري الاول ، ثم بعد ذلك انجبت ثلاثة ابناء اخرين روبيرت الثالث، واودو ، واديل. ينظر:
Glaber Rodulfus, Historiarum, Suimporis Libri Quinque, Recueil des, Historiens des Gaules de La Franse, Vol X, Paris, 1784, p.27.

[22] بدأت بوادر الاضطراب السياسي تظهر المملكة الفرنسية عند وفاة اول ابناء الملك روبيرت التقي وهو الملك هيو عام 1025م، حين سعت امه الملكة كونتانس، إلى تتويج ابنها الأصغر روبيرت الثالث، خلفًا لوالده، إلا أن الملك روبيرت التقي رفض هذا الطلب وقرر، خلافًا لرغبة زوجته وتتويج ابنه البكر هنري الأول شريكًا له في الحكم، حيث جرت مراسم التتويج في مدينة ريمس عام 1027م، في تجاهل واضح لمطالب الملكة، وقد أثار هذا القرار غضب الملكة كونتانس التي قاطعت مراسم التتويج، ثم عمدت إلى تحشيد عدد من النبلاء للانقلاب على قرار روبيرت، سعيًا لتغيير الترتيب الوراثي، وبدأت بذلك تحركات تمردية داخل عدد من المدن الفرنسية، أبرزها (سانس، (Sans) وسلنس(Silence) وبيثسي (Bethsie)، ودامارتان (Damartan)، ومليون(Million)، وبواسي (Bouasi)، حيث تمكنت من استمالة العديد من النبلاء والفلاحين إلى صفّها، وفي محاولة لتعزيز موقفها العسكري والسياسي، وقدّمت كونتانس تنازلات إقليمية إلى الدوق أودو، دوق شارتر، بتسليمه عددًا من المدن، على اعتبار أن تلك الأراضي تمثل مهر زواجها من آل كابيه، وأن من حقها التصرف بها دعمًا لأي طرف يساعدها في التمرد على زوجها وابنيها، وقد أدت هذه التحركات إلى تأجيج الحرب الأهلية داخل المملكة، مهددة استقرار البيت الكابي؛ وعلى أية حال لم تنتهِ الحرب الأهلية التي اندلعت بين الملك روبيرت التقي وزوجته الملكة كونتانس إلا بوفاة روبيرت التقي عام 1031م، والتي مثّلت نقطة تحول حاسمة في الصراع الداخلي على السلطة، فور وفاته، حيث تولّى العرش ابنه هنري الأول، الذي سارع إلى حشد قواته العسكرية لمواجهة التمرد الذي كانت تقوده والدته، مدفوعةً برغبتها في التأثير على ترتيبات الخلافة لصالح ابنها الأصغر، وبالرغم شدة المواجهات بين الطرفين، فإن الغلبة كانت لهنري، حيث ألحق الهزيمة بجيوش والدته، ما أجبر الملكة كونتانس على الاستسلام، وطلب العفو والمغفرة من ابنها عن أفعالها وأفعال أتباعها؛ وقد أظهر هنري تسامحاً سياسياً وأخلاقياً حين استجاب لطلبها، وعفا عنها قبل وفاتها في العام التالي (1032م)، حيث دُفنت إلى جوار زوجها روبيرت التقي في دير سانت دوني، المدفن التقليدي لملوك فرنسا، وفي إطار تثبيت حكمه وتأمين ولاء الأسرة الحاكمة، قام هنري الأول بتتويج شقيقه روبيرت الشاب ملكًا على إقليم برغنديا، معتبراً إياه حليفاً موثوقًا يدعم استقرار الحكم الكابي في مواجهة الاضطرابات الإقطاعية المستمرة. للمزيد من التفاصيل عن صراع هنري وامه ينظر:

Fawtier, Robert The Capetian Kings of France Translated by Lionel Butler and Adam, London, 1959, p.54; Halgaud, Epitome Vitae Roberti, RHGF, X, Paris, 1874.

102; Pfister Christian, Etudes leregne de Robert le Pieux Bibliothegue, VOI LXIV, paris, 1885.p.82; Kathleen Nolan,op, cit, p.17.

الكنيسة جشعاً مناقضاً للمثل الدينية، ولم يُظهر هنري أي تأنيب ضمير حيال ذلك، كما وُصف بأنه محدود الذكاء نسبياً، ما أثّر على إدارته لشؤون الحكم [23].

جديراً بالذكر أن المصادر التاريخية المعاصرة لعهد هنري الأول لا تزودنا إلا بملامح محدودة عن شخصيته، وغالباً ما يُكتفى بوصفه بأنه جندي شجاع ومحارب قوي، وهي إشارات تعكس طبيعة التحديات التي واجهها، أكثر مما تعبّر عن رؤية شاملة لحكمه، فقد كان عليه، بوصفه ثالث ملوك السلالة الكابية، وأن يثبت سلطته في وجه قوى إقطاعية متمردة طامعة، استخدم في مواجهتها القوة العسكرية بشكل أساسي، حفاظاً على ممتلكاته الملكية وحقوق التاج، ويُرجع له الفضل في صون الميراث الملكي من محاولات الاستيلاء والانفلات التي قادها بعض النبلاء البارزين في عصره، أمثال أودو (Odo)، كونت شارتر(Chartres)، وجيفري مارتيل (Geoffry Martel)، كونت أنجو(Anhou) ، ففي سياق كانت فيه المملكة الفرنسية لا تزال مهددة بالتفكك الداخلي، وُجهت معظم جهود هنري نحو الحفاظ على التماسك السياسي والإقليمي للتاج، بدل التوسّع أو الإصلاح، وخلال هذه السنوات العصيبة، برزت الحاجة إلى تطوير أدوات الإدارة الملكية، ولو في حدودها الدنيا، لتأمين سير شؤون الحكم، ورغم تواضع الأجهزة الحكومية في تلك المرحلة، إلا أنها استطاعت تلبية الحد الأدنى من متطلبات السلطة الملكية في سياق دفاعي يركّز على البقاء ،غير أن تثبيت الاستقرار لم يكن كافياً؛ إذ برزت ضرورة ملحّة لتأمين مستقبل السلالة، ما استدعى تفكيراً جدياً في مسألة الوريث، ومن هنا، لم يكن أمام هنري الأول سوى أن يسعى إلى الزواج الملكي كوسيلة لضمان الخلافة، وهو ما أدّى إلى زواجه ايجاد زوجة له، لتصبح ملكة فرنسا، وتمثل بذلك عنصراً حاسماً في استمرارية الحكم الكابي على فرنسا[24].

ومما تجدر الإشارة إلية أن التجربة الشخصية التي خاضها هنري الأول مع والدته، الملكة كونستانس، قد تركت أثراً نفسياً عميقاً في نظرته للنساء، خصوصاً فيما يتعلق بدورهن السياسي، فقد كانت كونستانس شخصية قوية ومؤثرة، تسببت في تعكير حياة والده روبير التقي، وأظهرت معارضة صريحة لتولي هنري العرش عام 1027م، مُفضِّلة عليه شقيقه الأصغر، ولعل هذه الخلفية تفسر جانباً من التردد الذي أبداه هنري في مسألة الزواج، وتفسيراً لابتعاده عن الارتباط لمدة طويلة، لذا عُدّت محاولاته الأولى لتأجيل الزواج أقرب إلى محاولات واعية لتفادي إدخال امرأة ذات نفوذ إلى البلاط الملكي، خشية أن تسعى، كما فعلت والدته، إلى التدخل في الحكم أو التأثير على القرارات الملكية[25].

ومما سبق يتضح أن سبب تأجيل هنري للزواج لرغبته في الحفاظ على استقلاله السياسي من أي تهديد محتمل يُعيد إلى الأذهان نموذج التدخل النسوي القسري في شؤون الحكم.

وفي عام 1036م قام هنري الأول برحلة إلى ألمانيا بهدف تسوية الخلاف القائم والسابق بين والده، الملك روبيرت التقي والإمبراطور كونراد الثاني(Conrad ll)(1024-1039م)[26] ، في محاولة لإعادة ترسيخ السلام بين الطرفين، وتوّجت المفاوضات باتفاق مبدئي على ارتباط بين هنري الاول وماتيلدا(Matilda)[27]، إحدى الأميرات الإمبراطوريات، وحسب القانون العرفي السائد آنذاك، لم يكن للخطوبة أي أثر قانوني فعلي ما لم تُستكمل إجراءات الزواج ،إلا أن القانون الكنسي في تلك الحقبة كان

---

[23] نور الدين حاطوم ، المصدر السابق، ص642.

[24] Vita .S, Lietberti Episcopi Cameracensis , Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Vol, Xl, paris, 1876, p.480; William of Jumieges, Gesta Normannorum Ducum, Edited, by jean Marx, paris, 1914, p117-120.

[25] Glaber, op, cit,p.53; Historiae Francicae Fragmentum, Recueil des historiens des Gaules et de la France Vols , Xl, Paris, p.1874,p161.

[26] كونراد: دوق سوابيا وانتخب ملكاً على المانيا 1024م على الرغم من معارضة اهالي اللورين له، وقد توج في مدينة ميتز عام 1024م، اعاد الاستقرار الى المانيا وقضى على التمردات التي رفضت تتويجه. ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2015، ص304.

[27] ماتيلدا: من العائلة الإمبراطورية الالمانية، وابنة كونراد الثاني ملك المانيا ، اصبحت خطيبة الملك الفرنسي هنري ، كانت امرأة فائقة الجمال، وتم ذلك الامر عندما سافر هنري الى المانيا للعمل على الوحدة الالمانية الفرنسية . ينظر: Harry Bresslau, Jahrbucher des Deutschen, Reichs unter Konrad ll , Vol lx, Leipzig, 1879, p.84.

يُضفي على الخطوبة طابعاً شبه مقدس، ويُعاملها في بعض الحالات بوصفها زواجاً كاملاً، خصوصاً إن تم التوافق العائلي وأُعلن الارتباط أمام الكنيسة، ولهذا السبب، منحت بعض المصادر المعاصرة لماتيلدا لقب ملكة فرنسا[28].

ومن الملاحظ ان محاولة تزويج هنري الأول من ماتيلدا الألمانية عام 1036م ناتج عن البعد السياسي العميق للعلاقات الزوجية الملكية في العصور الوسطى، حيث لم يكن الزواج مجرد ارتباط شخصي، بل وسيلة دبلوماسية لتعزيز التحالفات وتثبيت التوازنات بين القوى الأوروبية الكبرى، خاصة بين مملكة فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ كما يتضح من هذا الحدث أن الغرض الرئيسي من الخطوبة لم يكن إقامة علاقة زوجية فعلية بقدر ما كان أداة تفاوضية لتحقيق تهدئة سياسية بين فرنسا والمانيا، فاختيار أميرة ألمانية لتكون زوجة محتملة لملك فرنسا المستقبلي الذي كان يعكس رغبته في إضفاء طابع شرعي ومتوازن على العلاقات الثنائية، دون الدخول في التزامات سياسية دائمة قد تُضعف من استقلالية التاج الفرنسي، خصوصاً في ظل الاختلافات المتزايدة بين النموذجين الفرنسي والإمبراطوري في الحكم، ومن الناحية القانونية، يُبرز هذا الحدث التوتر القائم في العصور الوسطى بين القانون العرفي والقانون الكنسي، ففي حين لم تُستكمل متطلبات الزواج العرفي من دخول ومهر، وبالتالي لم يُعترف رسمياً بماتيلدا كملكة في البلاط الفرنسي، إلا أن القانون الكنسي، الذي كان يُعلي من شأن الالتزامات المعنوية والدينية، اعتبر الخطوبة بمثابة رباط شرعي، وهو ما يفسّر منح بعض المؤرخين لماتيلدا لقب "ملكة" رغم غياب الزواج الفعلي.

لبث هنري الأول على مدى ما يقارب اثني عشر عاماً، متحرراً من تأثير والدة مُهيمنة أو زوجة ذات نفوذ قوي، وهو ما منحه استقلالاً نسبياً في إدارة شؤونه الملكية، وفي الوقت نفسه، كان مرتبطاً بخطوبة آمنة من أميرة ذات أصل إمبراطوري رفيع، هي ماتيلدا، والتي كان يُتوقع أن تصبح ملكة فرنسا عند بلوغها سن الزواج، بما يضمن استمرار السلالة، غير أن وفاة ماتيلدا في عام 1044م أنهت هذه الحالة المستقرة نسبياً، ووضعت هنري أمام واقع سياسي وشخصي جديد، فقد بلغ الثلاثين من عمره، دون أن يكون له وريث مباشر، وهو ما مثّل خطراً على استمرارية اسرة ال كابية، لذا أصبح من الضروري البحث عن زوجة جديدة تُتوّج ملكة، لتحقيق الهدف الأهم في تلك المرحلة وهو تأمين وريث شرعي للعرش[29].

وليس من المعروف على وجه اليقين ما إذا كانت السنوات التي أعقبت وفاة ماتيلدا قد شهدت محاولات فاشلة من قبل هنري الأول للعثور على زوجة مناسبة داخل أوروبا الغربية، لكن المؤكد أنه، ما بين عامي(1049 و1050م)، أوفد مبعوثين إلى ياروسلاف(Yaroslav)(1019-1054م)[30]، الدوق الأكبر لروسيا الكييفية[31]، للتقدّم بطلب الزواج من ابنته آن (An)[32]، ورغم المسافات الشاسعة وصعوبة الاتصال في ذلك الوقت، فإن روسيا لم تكن معزولة تماماً عن العالم الغربي في منتصف القرن الحادي عشر، فقد كانت المسيحية قبل الانقسام الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية عام 1054م، لا تزال تجمع بين الطرفين رسمياً، وإن بشكل هش، مما أتاح قدراً محدوداً من التواصل وتبادل المعلومات، وقد نجحت البعثة الدبلوماسية، فعادت في مطلع عام 1051م إلى فرنسا ومعها الأميرة **آن الكيفية**، التي أصبحت زوجة للملك الفرنسي هنري الاول[33].

---

(28) A. Esmein, Le Marige en droit Canonique, Paris, 1891, pp.85-97.

(29) Ibid,p.97.

(30) ياروسوف: اعظم امراء روسيا في وقته جاهاً ومقاماً وسطوة، وقد زوج اخته ماري من كازيمير ملك بولندا، وزوج ابنته ان من هنري ملك فرنسا. ينظر: خرباوي باسيلوس، تاريخ روسيا منذ نشأتها الى الوقت الحاضر، مكتبة نيويورك العامة ، 1911، ص32.

(31) استطاع الروس في القرن الحادي عشر تأسيس وحدة سياسية قوية حول مدينة كييف ، والتي عرفت باسم روسيا الكيفية او روسيا كييف. ينظر: معتمد عاطف، روسيا واوكرانيا حرب عالمية غير معلنة، دار شروق، 2024، ص3.

(32) **آن الكيفية:** وهي ابنة ياروسوف ملك روسيا وامها زنيجارد ابنة ملك النروج تزوجت من الملك فيليب ملك فرنسا. ينظر: A. Caix de Saint Aymor, Ann de Russie, reine de France et Comtesse de Vallois au Xle siècle 2d paris, 1896, p.23.

(33) Ibid, p.23.

كان هنري قد أُعجب كثيراً بأسرة ياروسلاف، نظراً لما تتمتع به من مكانة مرموقة في الساحة الأوروبية، حيث كانت متحالفة مع عدد من الأسر المالكة الكبرى من خلال شبكة واسعة من المصاهرات الملكية ، فقد كانت والدة **آن** الملكة زنيغارد(Zingard) ابنة اولوف(Olof)(980-1022م) ملك النرويج، بينما تزوجت إحدى عماتها من كازيمير الأول(Kazimierz l)(1039-1058م)، ملك بولندا، كما ارتبط إخوة وأخوات **آن** بعلاقات زواج مع الأسر الحاكمة في إنكلترا، وألمانيا، والمجر، وبيزنطة، وهو ما منح الأسرة الكييفية طابعاً دولياً وسمعة طيبة في البلاطات الأوروبية، ومن هذا المنطلق، رأى هنري في هذا الزواج فرصة ثمينة لتعزيز مكانة البيت الكابي على الساحة الدولية الاوربية، وتأمين شرعية قوية لسلالته عبر التحالف مع بيت ملكي واسع النفوذ [34].

ومما سبق يتضح أن زواج هنري الأول من الأميرة **آن** ابنة الدوق الأكبر ياروسلاف ملك كييف، يعكس تحوّلاً نوعياً في السياسة الزوجية للملكية الفرنسية في القرن الحادي عشر، فقد خرج هنري في سابقة لافتة، عن النطاق الجغرافي التقليدي للزواج الملكي، الذي كان يتم غالباً داخل أوساط الأسر المالكة في أوروبا الغربية، واتجه شرقًا نحو روسيا الكييفية، وهو ما يعكس براعة سياسية في سياسته الخارجية، حيث مثّلت أسرة ياروسلاف نموذجاً لسلالة ملكية ذات مكانة مرموقة ومتعددة الروابط مع ملوك أوروبا.

وفي عام 1051م، تُوِّجت الأميرة **آن الكييفية** ملكةً على فرنسا، في مدينة كان(Cannes) جنوب باريس، بناءً على طلب الملك هنري الأول، وقد تمّ عقد الزواج وتتويجها على يد رئيس أساقفة ريمس[35]، ليبرت(Libert) الذي كان يُرسم في الوقت ذاته أسقفاً على مدينة كامبري(Cambria)[36]، ما أضفى على الحدث طابعاً مزدوجاً يجمع بين الدين والسياسة، وخلال السنوات القليلة التالية، أثمر هذا الزواج عن ثلاثة أبناء فيليب الاول (Philipl)(1060-1108م)[37]، وروبيرت (Robert) [38]، وهيو(Hugh)(1053-1101م) [39]، وقد حظي الابن البكر، فيليب، بمكانة خاصة، إذ تُوّج ملكاً شريكاً لوالده عام 1059م، في خطوة استراتيجية لضمان استمرارية الحكم الكابي، وترسيخ مبدأ التوريث المنظم للعرش، وعند وفاة هنري الأول في أب من العام التالي (1060م)، كان فيليب لا يزال في السابعة من عمره، ليُصبح بذلك أول ملك من سلالة الكابيين يتولى الحكم وهو قاصر، ورغم صغر سنه، يبدو أن انتقال السلطة إلى فيليب الأول قد تمّ بسلاسة ملحوظة[40].

يرى الباحث أن اشراك هنري لابنه في الحكم كانت سبباً في نجاح الإجراءات التي اتخذها هنري في حياته، والتي مهّدت لانتقال مستقر للعرش، وكرّست تقليداً سياسياً جديداً في المملكة، يقوم على إشراك الوريث في الحكم قبل وفاة الملك الحاكم.

وبالرغم من قلة المعلومات المتوفرة حول أنشطة الملكة **آن الكييفية** خلال السنوات التسع التي قضتها زوجةً للملك هنري الأول، إلا أن الدلائل تُشير إلى أنها لم تلعب دوراً بارزاً في إدارة شؤون المملكة أو التدخل في

---

[34] Ibid, p.23.

[35] تعتبر مدينة ريمس الفرنسية، هي مركز تتويج الملوك الفرنجة لما لها من اهمية كبيرة ، بعد ان نقلت مكان تتويج الملوك من اسقفية ميتز اليها، واثبتت اسقفية ميتز من خلال اساقفتها ان سلطتها تتعدى على سلطة الملوك انفسهم ، حيث ان الملوك يصلون الى الحكم من خلال الرسامة والتتويج التي يحصلون عليها من الاساقفة ، وبالوقت نفسه لا يمكن للملوك الفرنسيين تعيين الاساقفة. للمزيد من التفاصيل عن مدينة ريمس. ينظر: فاطمة عبد اللطيف الشناوي ، مراسيم تتويج الملك الكارولنجي شارل الاصلع (823–877م) مجلة وقائع تاريخية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد7، 2007،ص83.

[36] Vita S, op, cit, p.480.

[37] فيليب الاول: ولد عام 1053م من والدته ان الروسية، وتوج في مدينة ريمس بحضور والده عام 1059م، تزوج من بيرثا الهولندية عام 1071م ، ثم طلقها ونفيت الى قلعة مونترويل عام 1095م، ولم تنجب له سوى ولدا يدعى لويس السادس، ثم عشق بيرتردا وتزوجها ، حتى وفاته عام 1108م. ينظر:

A. L. Humphreys, The Kings of France Their Wives and Mistresses , London, 1907,p.4.

[38] روبيرت: وهو الذي توفي في عمر صغير. ينظر:

Historiae Francicae Fragmentum, Xl, op, cit, p,161.

[39] هيو: هو الذي اصبح كونت فرماندو1085م . ينظر:

A. Caix , op, cit, p.37.

[40] A. Caix, op, cit, p.37.

السياسات اليومية، كما لا يبدو أن هنري كان يتوقع منها أداء دور إداري مباشر، خاصة وأنه قبيل وفاته اتخذ تدابير واضحة لضمان توجيه ولده القاصر فيليب من خلال تعيين صهره بلدوين (Baldwin)(1012-1067م) [41] كونت فلاوندر (Flounder)، وصياً رسمياً على العرش، إلا أن هذا التعيين لا يُفهم بوصفه إقصاءً للملكة **آن الكيفية** عن وظيفتها الملكية، فبموجب الأعراف السائدة كانت الملكة بحكم تتويجها وارتدائها تاج المملكة، تتمتع بحقوق ضمنية في ممارسة جزء من السلطة، كما أن القانون العرفي آنذاك منحها بوصفها أماً، حق الوصاية الطبيعية على أبنائها القاصرين[42].

بعد وفاة الملك هنري الأول في أب من عام 1060م، اتخذت الملكة الأرملة **آن الكيفية** خطوة مفاجئة تمثلت في زواجها من رالف (Ralph) كونت كريبي(Crepy) وفالوا(Vallo) ، وهو أحد أقرباء الملك الراحل، وقد أثار هذا الزواج جدلاً واسعاً في الأوساط الكنسية والسياسية، خصوصاً أن رالف كان متزوجاً من الكونتيسة إليانور(Eleanor)، التي كانت لا تزال على قيد الحياة، ولم يتم الانفصال بينهما بشكل قانوني، وبسبب هذا الزواج فُرضت على رالف عقوبة الحرمان الكنسي[43]، وكان السبب الأرجح لذلك هو استمرار رابطة الزواج الأولى، وهو ما دفع الكونتيسة إليانور إلى تقديم شكوى رسمية إلى البابا ألكسندر الثاني (Aexander ll)(1061-1073م) [44]، طالبةً تدخل الكنيسة لإبطال الزواج الجديد، حيث استجاب البابا للشكوى، ووجّه رسالة إلى جيرفاس(Gervase) رئيس أساقفة ريمس، طالبه فيها بإجراء تحقيق شامل في ملابسات الزواج، وقد جاءت نتائج تحقيق جيرفاس داعمة لادعاءات إليانور، مؤكدةً أن الزواج من آن تم رغم وجود الزوجة الشرعية ومشيرةً إلى أن هذا الحدث لم يُغضب فقط بعض رجال الكنيسة، بل أثار أيضاً استياء الملك الشاب فيليب الأول، وأثار القلق داخل المملكة الفرنسية، وبناءً على هذه النتائج، أصدر البابا ألكسندر الثاني قراراً يُلزم رالف بالعودة إلى زوجته الأولى، وأعلن رسمياً بطلان زواجه من الملكة آن[45].

نلاحظ إن زواج **آن الكيفية** من رالف شكّل نقطة تراجع في صورتها الرمزية والسياسية، وأضعف من مكانتها بوصفها أرملة ملك وأُماً لملك قاصر، خصوصاً في مجتمع كانت الشرعية فيه ترتكز على التقاليد الدينية والاجتماعية الصارمة، كما أن إصرار رالف على تحدي أوامر البابا، واستمرار آن الكيفية في هذه العلاقة، يعكس تصدعاً في الانضباط الكنسي السياسي، لكنه من جهة أخرى يُبرز تعقيد وضع المرأة الملكية بين الالتزامات السياسية والاختيارات الشخصية.

بحلول عام 1069م عاد اسم الملكة **آن الكيفية** للظهور في أحد الوثائق الرسمية الملكية، وذلك بعد مدة من الغياب عن ظهور توقيعها على الوثائق والمراسيم لفرنسا في ذلك الوقت، وكان الملك فيليب الأول قد بلغ

---

[41] بلدوين: هو ابن كونت الفلاوندر بلدوين الرابع ولد في مدينة غانت في التاسع عشر من اب 1012م اصبح كونتا على الفلاوندر بعد وفاة ابيه عام 1035م ، تزوج من اديل ابنة روبيرت التقي ملك فرنسا واصبح الوصي على الملك الفرنسي فيليب عام 1060م حتى وفاته في الاول من ايلول عام 1067م. ينظر: حسنين عبد الكاظم عجة، تدابير وليم الفاتح في مملكة انكلترا وانعكاساتها على مؤسسات الحكم والادارة فيها 1066–1087م، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، نيسان ، 2019، ص 534.

[42] Ordericus Vitalis, Ecclesiasticae Historia,Edited by August Le prevost VoI lll Societe de Histoire de France Vol, l, paris, 1835-1855,p,52.

[43] الحرمان الكنسي او (الاناثيما): هي حق البابا القضاء باللعنة وبالحرمان معا، ومن ثم أخذوا يصبون اللعنة الواردة في تثنية الاصحاح من الكتاب المقدس للايتين ٢٧، ٢٨ على المخطئين ويقضون بطردهم من الكنيسة وحرمانهم من السماء أيضاً ، فثار ضدهم كثير من القديسين ووجهوا نظرهم إلى أن اللعنة تكون على أعمال المخطئين لا على المخطئين أنفسهم، وإلى أن الحرمان من السماء ليس في يدهم بل في يد المسيح وحده ، لكن الأساقفة المذكورين لم يصغوا لأقوالهم على الإطلاق ، فضلاً عن ذلك لما أصبح لكنيسة روما سلطة مدنية في القرن التاسع الميلادي، واستنادا الى قرار مجمع بافيا سنة 508 م أن المحروم من الكنيسة لا يعين في الوظائف الحكومية، ولا تقبل شهادته أمام المحاكم، ولا تعتمد وصيته الأخيرة، كما أن الأساقفة بعدما كانوا يستطيعون سلطان الحرم ضد المخطئين الذين في كنائسهم فحسب، أخذوا يستعملونه ضد من لا يقضون لهم حاجتهم، حتى إذا كانوا بعيدين عن نفوذهم الديني، ومن ثم فلا مجال لهذه الحجة أيضا. ينظر: عوض سمعان ، الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية، دار الاخوة للنشر ، ٢٠٠٩، ص ١٠٠–١٠١.

[44] A. Caix , op, cit, p.59.

[45] Olivier Martin, Felix Les regencies et la ma jorite des rois (1060-1375) paris, 1931, p.25; A. Caix , op, cit, p.60.

السادسة عشرة من عمره، ولم يُعدّ قاصراً قانونياً، وقد يكون هذا الظهور المتجدد **لآن الكيفية** إشارة رمزية إلى بلوغ ابنها سن الرشد، أو مجرد مصادفة لا تحمل دلالة سياسية واضحة، ومع ذلك، يُلاحظ أن الوثيقة التي منحت فيها حريات لكنائس ملكية تابعة لدير القديس فنسنت (Vincent) في سينليس(Senlens) تشير إلى الملكة **آن** بصيغة "أمي" وليس "الملكة"، مما يعكس تغيراً في مكانتها الرسمية ضمن البلاط الفرنسي، ولم يرد ذكر الملكة **آن الكيفية** مجدداً حتى عام 1074م، وهو العام الذي يُعتقد أن زوجها الثاني رالف قد توفي فيه، ويُرجّح أن ذلك الحدث مثّل نقطة تحول في حياتها، ربما أتاح لها العودة بشكل دائم إلى بلاط ابنها فيليب الاول[46].

وفي العام التالي، أي عام 1075م، وقّعت الملكة **آن الكيفية** ميثاقاً مشتركاً مع الملك فيليب يُؤكّد تأسيس دير بونتليفوي(Pontlevoy) على يد غالدوين(Galdwin) من مدينة سامور(Semore)التي تقع على نهر اللوار ، وقد وقّعت باسم **"آن والدة الملك فيليب"**، في إشارة إلى دورها الرمزي والعائلي أكثر من دورها السياسي[47]، وبعد هذه الوثيقة، تغيبت الملكة آن الكيفية عن المشهد الفرنسي تماماً، ولا ترد أي إشارات مؤكدة عنها في السجلات الفرنسية، سواء في البلاط أو في الحياة الدينية، كما لا يُعرف على وجه الدقة تاريخ وفاتها أو مكانها، وقد أشار أحد مؤرخي العصور الوسطى إلى احتمال عودتها إلى موطنها الأصلي في روسيا عقب وفاة رالف، غير أن هذا الاحتمال يُعد ضعيفاً وغير مدعوم بأي دليل قاطع، لا سيما في ظل ظروفها العائلية وعلاقتها المستقرة ولو بشكل رمزي مع ابنها الملك فيليب الاول[48].

يرى الباحث ان السنوات الأخيرة من حياة الملكة **آن الكيفية**، نمطاً مألوفاً في أوضاع الملكات الأرامل في أوروبا ، يتمثل في التراجع التدريجي عن الساحة السياسية، والاكتفاء بالدور الأمومي، بعد أن تكون قد أدّت وظيفتها الأساسية في تأمين وريث للعرش واستقرار الحكم الكابي في فرنسا.

المبحث الثاني

انتهاء عهد الوصاية على فيليب الأول واستلامه حكم فرنسا وتوسيع سلطة الدومين الملكي.

ومما تجدر الإشارة إلية ، أنه عند وفاة الملك هنري الأول، كان الوضع السياسي للمملكة الكابية قد دخل مرحلة من التراجع الملحوظ، إذ ترك هنري لابنه فيليب الأول الذي نال المباركة وتتويجه في الثالث والعشرين من أيار عام 1059م إرثاً أكثر هشاشة مما تسلمه هو نفسه عند صعوده إلى العرش، فقد استمر حكم فيليب لمدة ثلاثين عاماً؛ طُبع أغلبه بتقلص النفوذ الملكي وتراجع قدرة التاج على فرض سلطته على الأراضي الإقطاعية الكبرى، حيث اقتصرت السيادة الفعلية للملك على منطقة باريس وما يحيط بها، مع بعض الملحقات القليلة مثل ميناء مونتروي على البحر، والذي كانت جزءاً من مهر الملكة سوزانا(Suzana)[49]، زوجة جده روبيرت التقي واحتفظ به روبيرت التقي بعد طلاقه من هذه الأميرة، التي وُصفت في بعض المصادر بالبائسة، أما باقي أراضي الدومين الملكي، فقد شهدت تناقصاً واضحاً، لا سيما بعد فقدان دوقية بورغونيا، والتنازل عن منطقة الفيكسان الفرنسية لصالح نورماندیا، وقد كان هذا الانكماش الجغرافي والسياسي أحد أبرز معالم التراجع الذي أصاب مكانة التاج الكابي في هذه المرحلة[50].

بالإضافة إلى أن الملك لم يكن قادراً على فرض احترامه على كبار أتباعه الإقطاعيين، الذين لم يترددوا في تحدّيه عسكرياً وفرض الهزائم عليه، دون اعتبار واضح لمقامه الملكي، وهذا يعكس اختلالاً في التوازن بين السلطة الرمزية للملك والسلطة الفعلية لأمراء الأقاليم، التي أخذت في التوسع والتعزز في مقابل تراجع الهيبة المركزية، ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى وجود حراك عمراني وسياسي واضح في عدد من الدول

---

[46] Historiae Francicae Fragmentum, Xl, op, cit, p,161; A. Caix, op, cit, p.65.
[47] Ibid,p,161; Ibid, p.65.
[48] Ibid, op, cit, p,161; Ibid, p.65.
[49] سوزانا: هي اميرة ايطالية ابنة برينجار ملك ايطاليا ، تزوجت ارنولد الثاني ملك الفلاوندر وانجبت منه ولداً يدعى بلدوين ، ثم تزوجت الملك الفرنسي روبيرت التقي بعد وفاة زوجها عام 988م حتى طلاقها عام 991م. ينظر:
Pfister Christian, op, cit, 1885, p.44.
[50] نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص645.

الإقليمية المجاورة للدومين الملكي، مثل فلاوندر، ونورمانديا(Normandy) [51]، وآنجو(Anjou)، حيث شهدت هذه المناطق عمليات تعمير وتجمع إداري وسياسي، عكست قوة نخبها المحلية واستقلالية قراراتها[52].

يتضح أن التحوّلات السياسية والاجتماعية في فرنسا خلال العقود الأولى من حكم فيليب الأول، وهي مرحلة حاسمة في تاريخ الملكية الكابية فمن جهة، تشير شهادات سير القديسين ومراسلات رئيس أساقفة ريمس، جرفاس، إلى وجود اضطرابات وقلاقل داخل الدومين الملكي، مما اضطر بلدوين، وصي الملك فيليب إلى تقديم تنازلات سياسية لكبار الإقطاعيين، في محاولة للحفاظ على الاستقرار، وان تلك التنازلات لم تكن مجرد تكتيكات موقتة، بل كانت تعبيراً عن التحول البنيوي في علاقة التاج بالطبقة الإقطاعية، حيث أصبحت الأخيرة الطرف الأقوى فعلياً، كما حدث امراً آخر خطير وهو أن دوق نورمانديا ويليام الفاتح (William the Conqueror) (1066-1087م)[53]، الذي يمكن اعتباره أقوى تابعيه الكبار أصبح في العام ١٠٦٦م ملك انكلترا[54] ، ولم يكتف بأنشاء قوة أرضية لا حدَ لها بالنسبة لقوة الكابيين ، بل بدا للملك نداً ومساوياً في التسلسل ولذا فان قضية علاقات الملكية الكابية بالإقطاعية انمحت نوعاً ما أمام تنافس الملكين، وسيسلك كبار التابعين أحد سبيلين : أما التجمع حول الملكين ، واما الوقوف مراقبين، للنظر الى ذلك الخلاف الذي يعد من أكبر خلافات العصر الوسيط في الغرب الأوربي [55].

تولى فيليب الأول حكماً طويلاً ومثمراً دام ثمانية واربعين عاماً، شهد توسيع حدود المملكة لأول مرة في عهد سلالة الكابيين، وتقوية مصاحبة للتنظيم الداخلي للمملكة، ويُنسب الفضل في استقرار المملكة خلال مدة صغر سن فيليب إلى بالدوين الرابع، كونت فلاوندر، الذي أرسى المبادئ التي حكم بها فيليب، وكان أول حدث ذي أهمية بالغة لمستقبل فرنسا خلال مدة الوصاية عندما غزا ويليام الفاتح انكلترا عام 1066م[56]،

---

[51] نورمانديا: هي احدى المناطق الادارية التي تقع شمال مدينة باريس. ينظر: شريف سامي ، مختصر تاريخ اوربا ، دار دون، القاهرة، ص178.

[52] نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص645.

[53] ويليام الفاتح: ينسب وليم الى فرع النورمان الذين غزوا شمال فرنسا في زمن الملك شارل البسيط (893–929م)،اخر ملك من سلالة الاسرة الفرنجية الكارولنجية التي حكمت فرنسا، اذ حققوا الفرنسين النصر على النورمان عند اسوار شارتر عام 911م، الا ان الملك شارل البسيط اضطر الى عقد الصلح معهم ومع زعيمهم المسمى رولو واشتهر ذلك الصلح بمعاهدة سانت كلير، فكانت تلك الاتفاقية بداية لاستقرار النورمان في فرنسا واسسوا دولة مستقلة لهم ، لكنهم بقوا اسمياً تابعين لفرنسا واصبحوا يدينون بالدين الرسمي المسيحي بعد اعتناق زعيمهم، وهكذا وضعت معاهدة سانت كلير حداً للغارات النورمانية على فرنسا، وتعميد زعيمهم رولو على الدين المسيحي واتخذ اسم روبيرت ، وسار على نهجه ابنه ويليام ذو السيف الطويل(927–942م) واستمرت مملكة نورمانديا تحافظ على استقلالها داخل فرنسا حتى نهاية عهد الاسرة الفرنجية عام 987م وقيام اسرة ال كابيه في فرنسا، وكان ريتشارد الطيب (996–1027م) الامير الرابع للنورمان، ثم تولى بعده ابنه روبيرت العظيم وهو الامير الخامس ، وقد توفي هذا الامير اثناء عودته من الاراضي المقدسة بعد ادائه الحج عام 1035م ، حيث الت المملكة النورماندية الى وليم الفاتح الذي غزا انكلترا عام 1066م، وبذلك استقل وليم عن الحكم الفرنسي، للمزيد من التفاصيل وحكم وليم .ينظر: نظير حسان سعداوي، تاريخ إنجلترا ، دار النهضة العربية القاهرة، (د–ت)، ص٢؛ بشارة كنعان، العالم الإنجليزي، الأسكندرية، (د–ت)،ج1، ص60؛ ؛ محمد مرسي الشيخ، تاريخ في أوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص401–404؛
Haskins, C H,The Northmenin the European History, New York, 1959,pp.40-45.

[54] انكلترا: او (الجزيرة البريطانية) هي مجموعة من الجزر يمتد طولها لتشكل مثلث يحيط به المياه من جميع الجهات ، وبقدر طول الجزيرة قبالة قارة اوربا من النروج الى منطقة دوفر قبالة فرنسا حوالي 320كم^2 ، وتتكون الدولة البريطانية من جزيرتين رئيستين الاولى انكلترا وويلز واسكتلندا ، والثانية تضم شمال ايرلندا. ينظر: موسى محمد ال طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا 1066–1901، دار المعتز ، الاردن، 2016، ص20.

[55] نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص645.

[56] في الخامس من كانون الثاني عام 1066م توفي الملك الإنكليزي إدوارد المعترف دون أن يترك وريثاً مباشراً للعرش، الأمر الذي فجّر صراعاً على خلافته، فقد ظهر عدد من المدّعين بحق العرش؛ إذ هاجم أحد قادة النورمان إنكلترا من الشمال مدّعياً أن إدوارد أوصاه بالحكم بعد وفاته، وفي الوقت نفسه تقدّم ويليام الفاتح دوق نورمانديا من الجنوب مستنداً إلى دعوى

ولو كان كونت فلاوندر ميالاً للاعتراض، لكان قد مُنع فعلياً من التدخل نظراً لعلاقاته مع ويليام ، بالإضافة الى ذلك ان ابنت بالدوين الرابع ماتيلدا(Matilda)[57]هي زوجة ويليام الفاتح واصبحت كونتيسة على نورماندیا، لذا وقفت فلاوندر وفرنسا بقيادة الكونت بالدوين مكتوفي الأيدي، وحافظتا على علاقات ودية مع نورماندیا، كان ذلك درساً قيّماً في السياسة العملية للملك فيليب الذي لم يدخل قط في صراع مباشر مع نورماندیا ، بدلًا من ذلك، شجّع فيليب بحرص أتباعه على التمرد ضد ويليام، ودعم أفراد العائلة النورماندية في صراعهم الشرس على الخلافة ؛وفي مواضع أخرى استخدم فيليب أسلوباً مشابهاً لإبقاء أعدائه في صراع فيما بينهم حتى لا يتحدوا ضد فرنسا[58].

ومن الملاحظ أن عهد فيليب الأول يشكل نموذجاً مبكراً لما يمكن تسميته بالمملكة الحذرة في سياق الملكية الكابية، حيث كان يتجنب المواجهة العسكرية المباشرة مع القوى الإقطاعية أو الممالك المجاورة الأقوى، ويعتمد بدلاً من ذلك على أدوات السياسة الواقعية، مثل التحالفات المرنة، ودعم الانقسامات الداخلية لدى الخصوم، واستخدام النفوذ الرمزي والديني لتعزيز شرعية الحكم، لذا انتهج فيليب الاول ما يمكن اعتباره **سياسة توازن سلبي** أو حرب باردة مبكرة داخل المحيط الإقطاعي الفرنسي؛ فلم يسع إلى إخضاع الدوقيات الكبرى بالقوة، بل استخدم أدوات غير مباشرة لإضعافها، كدعم الفصائل المتصارعة داخل نورماندیا، وتحفيز النزاعات الوراثية على الدوقية، مما أدى إلى تآكل السلطة المركزية للدوقات وأضعف قدرتهم على تمثيل تهديد موحّد ضد فرنسا.

وفي عام ١٠٦٩م وبعد بلوغ فيليب سن الرشد، قام بأول استحواذ إقليمي في عهده وهي الاستيلاء على أراضي جاتيناي (Gatinay) التي تقع على ضفاف نهر اللوار، بعد ان تنازل عنها له فولك ريشين Folk (Reshen) كونت أنجو[59] وفي السنوات التالية، زادت الخلافات على خلافة اقليم الفلاوندر بعد وفاة زوج عمته أديل (Adele)[60] بلدوين ، لكن وفاة الأخير أدت إلى نزاع على الخلافة بين ابنه أرنولف الثالث (Arnulf lll) (1070-1071م) وعمه روبيرت الفريزي (Robert Alfrizi) (1071-1093م) [61]، اذ

مماثلة بأحقيته في وراثة العرش الإنكليزي، غير أن النبلاء الأنجلوسكسون اجتمعوا وانتخبوا هارولد جودوين ملكاً عليهم ، وقد تمكن هارولد في بداية الأمر من الانتصار على المهاجمين القادمين من الشمال، لكنه اضطر سريعاً إلى التوجه جنوباً لملاقاة قوات ويليام، وهناك، وقعت معركة هاستينغز (Hastings) الشهيرة في الرابع عشر من تشرين الأول 1066م، حيث التقى الجيش الإنكليزي بجيش النورمان، وتميّز النورمان باستخدام سلاح الفرسان والرماة إلى جانب المشاة المسلحين بالرماح والسيوف، بينما اعتمد الجيش الإنكليزي على المشاة المدججين بالطبرات والفؤوس، وقد أسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة للأنجلوسكسون، وسقط الملك هارولد نفسه قتيلًا في أرض المعركة، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ إنكلترا تحت الحكم النورماندي؛ وجديراً بالذكر أن ويليام الفاتح تولى الحكم في إنكلترا عام 1066م عقب انتصاره الحاسم في معركة هاستينغز، وهو الحدث الذي عُدّ نقطة تحول مفصلية في التاريخ الإنكليزي، وقد سبق هذا الانتصار حصوله على دعم وتأييد بمباركة البابا الكسندر الثاني (Alexander ll)(1061–1073م) والذي قال : ان غزو انكلترا سيتم بإرادة الرب وان الملك ويليام سيستلم انكلترا من القديس بطرس ، ولا احد غيره ، وكدليل على كلام البابا ارسل له خاتماً ثميناً وحجارة تحتها بعض الشعيرات قيل انها من راس القديس بطرس . للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الامير، محمد توفيق حسين، التاريخ الاوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة بغداد ، 1980،ص134؛ ايمان عبد التواب خلاوي ، استغلال هنري الاول ملك انكلترا لقضية زوجات ومحظيات رجال الدين (1100– 1135م) ، مجلة وقائع تاريخية ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، العدد 36، يناير 2022، ص153

[57] ماتيلدا: هي ابنة بلدوين كونت الفلاوندر، ولدت في مدينة غانت احبها ملك انكلترا وليام ثم تزوجها ، رغم رفض البابوية ذلك الزواج، ولدت له ثلاثة ابناء روبيرت، ووليام الاحمر، وهنري الاول، توفيت في مدينة غين عاصمة نورماندیا في الثاني من تشرين الثاني عام 1083م. ينظر: حسنين عبد الكاظم ، المصدر السابق، ص534.

[58] Fliche, Leregne de Philippe France, (1060-1108), Paris, 1912, p. 30.

[59] Fliche, p. 36; Fawtier, op, cit, p.103.

[60]اديل: هي الملكة التي تزوجت بلدوين ملك الفلاوندر عام 1028م. ينظر:
Kathleen Nolan,op, cit, p.20.

[61] روبيرت الفريزي: هو شقيق بلدوين كونت الفلاوندر ، واصبح في صراع مع ابن اخيه ارنولف على خلافة الاقليم ،وانتصر على ابن اخيه في معركة كاسل عام 1071م. ينظر:

قدم فيليب الدعم لأرنولف، لكن الاخير قُتل في معركة كاسل (Castle) عام 1071م، مما مهد الطريق لروبيرت لتولي السلطة، وفي ختام الصراع في الفلاوندر، ثبّت فيليب دعمه لروبيرت الفريزي، بعد تنازله عن مدينة كوربي(Corby) لأديل عمة فيليب ، وزواج الاخير من ابنت زوجة روبيرت الفريزي تدعى بيرثا(Bertha) الهولندية[62].

مما سبق يتضح ان بداية حكم فيليب الأول بعد بلوغه سن الرشد عام 1069م لحظة مهمة في التاريخ السياسي لأسره ال كابية، إذ تميز بخطوات أولى نحو استعادة المبادرة الملكية في مجال التوسع الإقليمي والمشاركة الفاعلة في الصراعات الإقطاعية الكبرى، لذا كان استحواذه على أراضي جاتيناي من فولك ريشين، كونت أنجو، أول مؤشر على تحوّل الملك من رمز سيادي محدود النفوذ إلى فاعل إقليمي يسعى إلى تعزيز سلطته داخل فرنسا.

كانت ملكة فرنسا الجديدة ابنة فلوريس الاول(Flores l)(1049-1061م) ملك هولندا، ولم يُسجل تاريخ الزواج وحفل التتويج المصاحب له، ولكن يُرجح أن الحدث وقع في وقت ما من عام ١٠٧٢م، وعادةً ما تُختصر الروايات الموجزة عن هذا الزواج في جملة واحدة مفادها أن فيليب تزوج بيرثا ابنة كونت هولندا، وأنجبت له ابنًا يُدعى لويس السادس(Louis Vl) (1108-1137م)[63] ولكن ذلك الزواج في بادئه كان عقيماً لبضع سنوات وأصبح مصدر قلق للزوجين الملكيين، لكن فيليب أُرسل مبعوثون إلى الأسقف أرنولد(Arnold) من مدينة سواسون طالبين شفاعته نيابةً عنهما، وكانت النتائج مبشّرة، وتبددت المخاوف الملكية عندما وُلد لويس عام 1081 م[64]، ثم اصبحت لديها من ذلك الزواج ابنة ثانية تدعى كونتانس(Contance)[65] وقد لعبت بيرثا دوراً ضئيلاً جداً في البلاط الفرنسي حتى طلاقها عام 1092م، بسبب انها امرأة ذات بنية سمينة للغاية [66].

يرى الباحث ان زواج فيليب الأول من بيرثا ابنة فلوريس الأول، يمثل خطوة سياسية جيدة تأتي في سياق السياسة الكابية الهادفة إلى توسيع شبكة التحالفات الإقليمية من خلال الارتباط بسلالات قوية خارج النطاق الفرنسي المباشر.

المبحث الثالث

فرنسا من الاستقرار السياسي إلى الصراع الكنسي: فيليب الاول والبابوية.

بعد عشرين عاماً من توليها منصب ملكة فرنسا عُزلت بيرثا من منصبها دون مراسيم، ونُبذت من زوجها، وأُرسلت إلى أبعد مكان عن فرنسا وهو قلعة مونترويل سور مير(Montreuil Sur Mer)، وهو الموقع الذي اختير لنفيها، ولا يوجد أي احتجاج أو اضطراب من جانب بيرثا أو عائلتها، لكن الكنيسة الرومانية سارعت في إدانة فيليب على فعلته، ومع ذلك، كان الملك مصراً على قراره، فقد توفيت بيرثا بعد عامين من نفيها[67].

إن الأسباب المضللة لرفض بيرتا من قبل زوجها فيليب والتي تكلم بها الملك الفرنسي هي كراهية الملكة لزوجها (**وسمنتها**) وهي اسباب قصة الطلاق، لكن السبب الأساسي للانفصال بين بيرثا وفيليب هو عشقه لامرأة تُدعى بيرترادا (Bertrada)[68] وهي ابنة سيمون (Simon) كونت مدينة

Suger, Viede Louis Vlle Gros , Edited and Translated by Henri Waquet, Les Classiques de Histoire de France Moyen AGE, Vol, Xl, Paris, 1929, p.10-11.

[62]Fliche, op, cit, p. 36; Fawtier, op, cit, p.103; Suger,op, cit, p,11.

[63] لويس السادس: هو المعروف باسم لويس السمين، ولد عام 1081م في مدينة اورليان، تزوج من

[64]Duchesne, Andre Historiarum Francorum Scriptores, Vol .IV, Paris, 1641,p.164.

[65] كونتانس: هي زوجة كونت مدينة تروا عام 1097م، وقد الغي ذلك الزواج بسبب قرابة الدم ، ثم تزوجت من بوهيمند امير انطاكيا. ينظر:
Fliche, op, cit, p. 88.

[66]Ibid, p. 88; Duchesne, op, cit , p.164.

[67]Chronicum, S. Petri Vivi Senonensis, Auctore Clario Monacho, Recueil des Historiens des Gaules et de al France Vols XII, 1876-1877,P.122.

[68] بيرتراد: هي امرأة جميلة وجذابة ابنة سيمون كونت مونتفورت، تزوجت من الكونت فولك انجو عام 1088م، لكنها هربت الى البلاط الفرنسي وتزوجت الملك فيليب الاول وبقيت معه حتى عام 1109م. ينظر:
A. L. Humphreys,op, cit, p.4.

مونتفورت(Montfort)، الواقعة شرق فرنسا ، وقد تركت زوجها فولك، كونت مدينة أنجو، وتزوجت من فيليب في نفس العام ، ويرى المؤرخ أوردريكوس(Audricus) أن رواية زواج بيرترادا الأول من فولك تُثير الشكوك حول شرعيته، فعند وفاة ويليام الفاتح عام 1087م ملك نورمانديا خطط كونت الماين(Main) للثورة على الهيمنة النورماندية، ولمنع ذلك التمرد طلب روبرت كورتز(Robert Curthose)(1087-1106م) ابن ويليام الفاتح مساعدة فولك، الذي ُوعده بالمساعدة واخماد ذلك التمرد إلا بشرط أن يُرتب روبيرت زواجاً بين فولك وبيرترادا التي تعتبر ابنة أخ ويليام كونت مدينة إيفرو، حيث كان ويليام تابعاً لملك نورمانديا وكان في ذلك الوقت الوصي على بيرترادا[69].

مما سبق يتضح ان طلاق الملك فيليب الأول من زوجته الشرعية بيرثا الهولندية، وزواجه المفاجئ من بيرترادا، واحدة من أكثر القضايا تعقيداً وإثارة للجدل في تاريخ الملكية الكابية الفرنسية، ويُظهر هذا الحدث التداخل العميق بين السياسة والعلاقات الشخصية في الممالك الإقطاعية، كما يكشف هشاشة المكانة القانونية والأخلاقية للزواج الملكي في ظل المصالح العليا للدولة.

وبالرغم من ذلك كان فولك كونت الانجو قد تزوج ثلاث مرات، وطلق زوجتيه الأخيرتين اللتين كانتا لا تزالان على قيد الحياة، فقام روبيرت باستدعاء ويليام كونت إيفرو ، وبعد عدة مفاوضات، وافق على الترتيبات، وهكذا تزوجت بيرترادا وفولك، وولّد لهما ابن واحد يدعى فولك الخامس (FolK V)، من هذا الزواج قبل هروبها عام ١٠٩٢م الى ملك فرنسا فيليب[70]وقد ذكر (مؤرخي بلاد الغال) بخصوص هذا الحدث، لكن معناها العام هو أن ملكاً شريراً شهوانياً طلق زوجته النبيلة ليختطف زوجة رجل آخر ويعيش معها في الخطيئة والذنوب، وعلى الرغم من استخدام مصطلح "اختطاف" عدة مرات، إلا أن الأمر لا بد أنه كان هروباً أكثر منه استيلاءً، ولا شك أنه كان مخططاً له بشكل متبادل[71]، لكن صراحةً ذلك التواطؤ هو أن بيرترادا، خوفاً من أن يعاملها فولك كما عامل زوجاته الأخريات، ولإدراكها لنسبها الرفيع وجمالها، أرسلت رسالة سرية إلى الملك الفرنسي فيليب تطلب منه إنقاذها، حيث وافق الملك على عروضها، وطرد زوجته الشرعية بيرتا، واستقبل بيرترادا بحفاوة بالغة بعد هروبها من زوجها[72].

ومهما كانت الحقيقة للأمر، ذهب الزوجان معاً الى مدينة سينليس، حيث كانت خطوتهما التالية هي ترتيب حفل الزواج ، وكان من المفترض أن يُشكل الزواج المزدوج صعوبات، ولكن في هذه الحالة، أثبت رجال الدين الفرنسيون في المجال الملكي أنهم مؤيدون مخلصون للملك، بينما كان إيف(Eve)، أسقف مدينة شارتر معترضاً على ذلك الزواج ،وكان عليه أن يبقى صارخاً في اعتراضاته، حيث دعا الملك فيليب الاسقف إيف للمساعدة في الحفل وأبلغه أن البابا قد حكم على زواجه الأول ببيرثا بشكل إيجابي، وسوف تتم الموافقة على الزواج الجديد بموافقة راينود، رئيس أساقفة مدينة ريمس[73]، ورداً على هذه الدعوة، أرسل إيف رسالتين: إحداهما إلى راينود يُحذره من الموافقة على الزواج، والأخرى إلى فيليب، شرح فيها أسباب رفضه والمشاركة في مراسم الزواج أولاً، ولا بد أن الاسقف إيف يعلم أن الطلاق بين بيرثا وفيليب قد أُقرّ بمرسوم من مجلس عام قبل أن يُعطي فيليب حرية الزواج مرة أخرى؛ واختتم رسالته مُعرباً عن أسفه لأن لم يكن بإمكانه الحضور إلى فيليب ومناقشة الأمر مع الأساقفة الفرنسيين المشاركين بهذا الزواج، وبالرغم من وُجود اعتراضات من قبل الاسقف ايف ضد ذلك الزواج، لكن تم تجاهلها أيضاً من قبل فيليب، وتزوج من بيرترادا في تشرين الاول عام ١٠٩٢م ، وبارك ذلك الزواج أورسيون(Ursion)، أسقف مدينة سينليس، وراينود(Raynaud) رئيس اساقفة ريمس[74].

---

(69) Ordericus Vitalis,Vol, lll op, cit, p320.
(70) Ibid, p322.
(71) Historiae Francicae , Vols , Xll, op, cit, p.1874,p.5.
(72) Ordericus Vitalis, op, cit, p.386.
(73) Yves of Chartres , Correspondance, Edited and translated by jean Leclercq, Les classiques de Histoire de France au Moyen Ago, Vol,l, paris, 1949, p.13-15.
(74) Yves of Chartres ,op, cit, p.13-15.

تعرّض هذا الزواج لهجوم لاذع من قبل البابا اوربان الثاني(Orleban-ll)(1042-1099م)[75] وطالبهما بالانفصال فوراً، لكن الزوجان دافع بشراسة مماثلة، وهنا يُظهر سلوك الزوجين الملكيين عزماً على البقاء متحدين مع التصالح مع الكنيسة الرومانية[76].

واجه الملك فيليب الأول تهديداً مباشراً بالحرمان الكنسي من قِبل البابا أوربان الثاني، نتيجة زواجه غير الشرعي من بيرترادا، في وقت كانت زوجته القانونية بيرثا الهولندية لا تزال على قيد الحياة؛ وظل هذا الوضع الديني والسياسي المتأزم قائماً حتى وفاة بيرثا عام 1094م، الأمر الذي فتح أمام فيليب باباً للتفاوض مجدداً حول إمكانية إضفاء الشرعية الكنسية على زواجه من بيرترادا، وفي هذا السياق دعا فيليب بالتنسيق مع رئيس أساقفة ريمس راينود إلى عقد مجمّع كنسي في مدينة ريمس منتصف عام 1094م، في خطوة تهدف إلى كسب الاعتراف الداخلي بزواجه الجديد، وإعادة ترتيب علاقته المتوترة مع الكنيسة الرومانية، وقد شهد هذا المجمع حضوراً لافتاً من كبار الأساقفة في المقاطعات الفرنسية، بما في ذلك أساقفة (ريمس، وسان، وتور، وسينليس، وباريس، وليون، ونويون، وأميان)، في حين غاب الأسقف إيف، المعروف بموقفه المتشدّد، والذي اعتذر عن الحضور كما فعل في مناسبات سابقة[77].

نلاحظ ان محاولة فيليب الأول وتسوية موضوع زواجه من بيرترادا بعد وفاة زوجته الأولى عام 1094م، من خلال عقد مجمّع كنسي في ريمس، لحظة بالغة الأهمية في تاريخ العلاقة بين الملكية الفرنسية والكنيسة، وتُجسد بوضوح التوتر الكامن بين السلطتين الزمنية والروحية في أواخر القرن الحادي عشر، وما إن لجوء فيليب إلى الكنيسة المحلية، ممثلة في كبار أساقفة فرنسا، بدلاً من انتظار حكم البابا، يعكس محاولة واضحة للالتفاف على السلطة البابوية، أو على الأقل تقليص تأثيرها المباشر على شؤون البلاط الفرنسي، خاصة في ظل تصاعد حركة الإصلاح بقيادة أوربان الثاني، التي شددت على ضبط سلوك الملوك وإخضاعهم للمعايير الأخلاقية والكنسية.

ورغم ضياع أعمال هذا المجّمع وعدم وصول محاضر جلساته الى نتيجة، إلا أن المؤشرات المتاحة تدل على أن الهدف الرئيسي كان الحصول على موافقة صريحة أو ضمنية من الهيئة الكنسية الأقرب إلى الملك، على زواجه من بيرترادا، في مسعى لتهيئة الطريق نحو تسوية لاحقة مع البابوية، وبهذا سعى الملك فيليب إلى توظيف الكنيسة الفرنسية المحلية كوسيط في نزاعه مع الكرسي الرسولي، على أمل إعادة بناء الشرعية الدينية لزواجه، وتطبيع علاقته مع الكنيسة الرومانية في المستقبل[78].

جاء رد الكنيسة الرومانية على المساعي التي بذلها فيليب الأول ورئيس أساقفة ريمس، راينود، لإضفاء شرعية على زواجه من بيرترادا، بعقد مجمّع كنسي في مدينة أوتون (Auton) في تشرين الاول من عام 1094م، بدعوة من المندوب البابوي هيو رئيس أساقفة ليون، أحد أبرز دعاة الإصلاح الكنسي في فرنسا، وقد كان من بين أبرز قرارات هذا المجمّع إصدار حكم بالحرمان الكنسي ضد الملك فيليب، وذلك لأنه تزوج بامرأة أخرى، بينما كانت زوجته الشرعية، بيرثا الهولندية، لا تزال على قيد الحياة في ذلك الوقت؛ ويعكس هذا القرار تشدد الكرسي الرسولي في فرض المعايير الأخلاقية والشرعية على الملوك، متجاوزاً حدود التسويات المحلية التي حاول التاج الفرنسي نسجها عبر الكنيسة الوطنية، في محاولة لتدارك الوضع بعد وفاة بيرثا[79].

أرسل فيليب وفداً من المبعوثين إلى روما، بهدف تقديم ملابسات القضية والظروف الجديدة للمحكمة البابوية، على أمل التوصل إلى تسوية تُنهي حالة الحرمان، وقد عقد مجلس كنسي في مدينة

---

[75] اوربان الثاني: او (اورليان) ،هو بابا روما ومفجر الحروب الصليبية في الخطبة التي القاها عام 1095م في مدينة كليرمون جنوب فرنسا، حيث اعلن باب الجهاد على المسلمين وازاحتهم من فلسطين واستعادة قبر المسيح وتأسيس مملكة اورشليم المقدسة على حد تعبيره. ينظر: وليد فكري، تاريخ شكل تاني بحثا عن الحقيقة في صفحات مهجورة، الرواق للنشر والتوزيع، 2024، ص126.

[76] Yves of Chartres, op, cit,p.28; Suger, op, cit,p.10; Fliche, op, cit,p. 48.

[77] Yves of Chartres, op, cit,p.35; Fliche, op, cit, p. 55.

[78] Crozet Rene, Le Voyage Urbain II et Ses Negociations avec al Clerge de France 1095-1096 , Revue Historique, VOI Clxxiv, 1937, p.272; Fliche, op, cit, p. 55.

[79] Crozet Rene, op, cit, p.272; Fliche, op, cit, p. 55.

بافيا(Pavia)[80] الإيطالية لمناقشة القضية، إلا أن المفاوضات لم تُسفر عن نتيجة ملموسة، وظلت جهود المصالحة بين فيليب والبابوية عقيمة في تلك المرحلة[81].

وفي تشرين الثاني من عام ١٠٩٥م عقد مجمع كليرمون(Claremon) الشهير[82]، حيث أصدر البابا أوربان شخصياً حكماً بالحرمان الكنسي على فيليب وبرترادا حتى ينفصلا، كما حرم الملك فيليب من المشاركة في الحملة الصليبية الاولى(1095- 1099م) [83]، ولا شك أن البابا قد ماطل خلال السنوات الثلاث الماضية على أمل ألا يكون هذا الإجراء الجذري ضرورياً[84]،وهو الرد الحاسم من البابوية على فيليب وبرترادا، اذ وعد فيليب البابوية بالانفصال عن بيرترادا، وكان الانفصال قصير الأمد، ففي كانون الاول من العام نفسه، طُرد الاثنان مرة أخرى من الكنيسة، وعندما تم تجاهل هذا الحكم، وُضعت المملكة الفرنسية بأكملها تحت الحظر، وبناءً على ذلك، هدد فيليب على ما يبدو بالانفصال عن طاعة البابا أوربان الثاني ودعم البابا المضاد آنذاك، غويبرت (Guibert)[85] ،لأنه في عام ١٠٩٨م كتب إيف رئيس اساقفة شارتر إلى البابا أوربان الثاني يحثه على عدم الالتفات إلى أكاذيب وحجج مبعوثي فيليب في مساعيهم لرفع الحظر، وعدم الانصياع لأوامر الانفصال[86].

لم يُنفذ فيليب تهديداته اتجاه الكنيسة الرومانية، وبدلاً من ذلك التحذير أنه أُقتنع للمرة الثانية بالوعد بمغادرة بيرترادا، وهو ما أعقبه تبرئة بابوية أخرى؛ ولكن في وقت ما خلال عام ١٠٩٩م، ربما بعد وفاة أوربان في تموز نفس العام، حيث استأنف الزوجان الملكيان حياتهما معاً ولو كانوا يأملون في تغيير الحكم البابوي مع

([80]) بافيا: مدينة إيطالية وعاصمة لمقاطعة تحمل نفس الاسم تقع على نهر تيتشيو Ticino، وعلى بعد 32 كم إلى الجنوب من مدينة ميلان ومن أشهر كنائس بافيا هي كنيسة القديس ميشيل التي تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي، اتخذها اللومبارديون عاصمة لهم عند دخولهم إيطاليا. ينظر: أحمد زكي العدوي، قاموس الجغرافية القديم، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1899، ص30.

[81] Crozet Rene, op, cit, p.272; Fliche, op, cit,p. 55.

[82] يعتبر خطاب البابا اوبان الثاني في مجمع كليرمون عام 1095م ، من اكثر الخطب تأثيراً في تاريخ العصور الوسطى ، حيث كان الخطاب بمثابة دعوة لحمل السلاح للحملة الصليبية الاولى ، وحث المسيحين الفرنسيين على حمل السلاح واستعادة الاراضي المقدسة من سيطرة المسلمين لذلك سمي بمجمع كليرمون الشهير. للمزيد من التفاصيل عن مجمع كليرمون ينظر: عيادة عاشور هرهور، استخدام الحرب النفسية في خطبة البابا اوربان الثاني 1095م (مجمع كليرمون انموذجاً) مجلة جامعة الزيتونة ، العدد الثامن عشر، 2024، ص397.

[83] بدأت الحملة الصليبية الاولى بين عام 1095و1099م، والتي دعا اليها البابا اوربان الثاني في مجمع كليرمون ، مشجعاً مسيحي اوربا الغربية على حمل السلاح واستعادة بيت المقدس من الحكم الاسلامي، وشهدت تلك الحملة الاف المحاربين المسيحيين، اغلبهم من فرنسا وكان القائد الروحي والمندوب البابوي لتلك الحملة ادهيمار اسقف مدينة لوبوي، مع الكثير من الاساقفة والقادة الفرنسيين، ومنع الملك الفرنسي فيليب الاول من المشاركة في تلك الحملة العسكرية ، بسبب حرمانه الكنسي على يد البابا اوربان الثاني، واراد الاخير من ذلك الامر هو الضغط على فيليب الاول لترك زوجته غير الشرعية بيرترادا ، والتقى البابا وفيليب بعد مجمع كليرمون بأشهر في جو تصالحي في مدينة نيم الفرنسية ، لكنهم لم يتوصلوا الى اتفاق؛ على ان يكون العاهل الفرنسي على قيادة الحملة الصليبية، لعدم التزامه بالشروط الكنسية والابتعاد عن زوجته غير الشرعية. للمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية ومشاركة فيليب ينظر:
Mark Hewett, King philhp l and Church , Ruling France in an Age of Reform PhD (Medieval Studies), Graduate Centre for Medieval Studies, Department of History, University of Reading,2025, pp. 249-255.

[84] Crozet Rene, op, cit, p.

[85] غويبرت: هو اول بابا روماني مزيف تحت اسم كلمينت الثالث ، اصبح موالياً للملك الايطالي هنري الرابع(1084–1105م) ، كان كثير المشاكل مع البابا غريغوري السابع (1073–1085م) واصبح من اشد المعارضين للإصلاحات الدينية الغريغورية في ايطاليا، وقد ساند هنري بصراعه مع البابا غريغوري على الاحقية كل منهما على الاخر ، كما ساند هنري بحملاته على القضاء المناوئين له على السلطة الايطالية. ينظر:
Savage, The Catholic Univerity of America, Vol 3 U.S.A., 2003, p.775.

[86] Yves of Chartres, op, cit,p.46.

استلام البابا باسكال الثاني(Pascal-ll)(1099-1118م)[87]، لكنهم قد أصيبوا بخيبة أمل اخرى ففي عام 1101م تم تجديد الحظر وتم طرد فيليب وبيرترادا مرة أخرى، واخذت الاوضاع تتجه الى التذبذب بين الملك والبابا الجديد، ووعد العاهل الفرنسي البابا بالانفصال عن زوجته، لينهوا الصراع من حيث بدأ، ومن الصعب تصديق أن فيليب أو بيرترادا كانا ينويان قطع علاقتهما نهائياً في المناسبات التي أقسما فيها على الانفصال، ويبدو أن هدفهما الرئيسي كان رفع الحرمان الكنسي ومراسيم الحظر عنهما وعن مملكتهما؛ ثم الأمل في الحصول على موافقة ضمنية على لمّ شملهما، وفي النهاية عكس السياسة البابوية التي من شأنها إضفاء الشرعية على زواجهما[88].

قام فيليب بمحاولة أخرى مع البابا باسكال في عام 1104م لحل المسألة بما يرضيهما، وفي رسالة من البابا باسكال الثاني إلى أساقفة مدن(ريمس، وسينس، وتور)، أعلن البابا أن فيليب، الذي وعد بالانفصال عن بيرترادا، قد كتب إلينا طالباً الغفران، وقد أرسل باسكال مخططاً للإجراءات التي يجب اتخاذها، وفي كانون الأول من ذلك العام، أُعيد تمثيل طقوس التنازل عن العهد بين الزوجين والحصول على العفو البابوي، وهذه المرة، بدا الزوجان الملكيان منتصرين ربما لأن الكنيسة الرومانية قد سئمت من هذا الصراع، إذ استمرا في العيش معاً خلال السنوات المتبقية من حياة فيليب دون أن يزعجهما المزيد من الإدانة البابوية[89].

وفي عام 1106م وبعد وفاة جيفري مارتيل (Jeffrey Martell)، الأخ غير الشقيق لفولك الرابع كونت أنجو، قرر الملك فيليب الأول تعيين فولك الخامس ، ابن زوجته بيرترادا، وريثًا شرعيًا لمقاطعة أنجو ونظراً لكون فولك لا يزال قاصراً في ذلك الوقت، عهد فيليب بمهمة وصايته إلى ويليام التاسع William (Lx)، كونت أكيتانيا(Aquitaine) [90]، الذي كان متواجداً آنذاك في البلاط الملكي، مكلّفاً إياه بمرافقة فولك الخامس إلى أنجو، وتسليمه إلى والده، وضمان سلامته أثناء الرحلة ،غير أن ويليام لم ينفّذ المهمة على النحو المتفق عليه، بل أرسل فولك إلى أنجو واحتجزه هناك رهينة، وقد أثار هذا التصرف غضباً شديداً في البلاط الفرنسي، حيث حاولت بيرترادا، والدة فولك بكل ما تملكه من نفوذ التدخل لإطلاق سراح ابنها، من خلال الضغط السياسي والتوسل لدى الأطراف المعنية لكن دون جدوى [91].

شارك الملك فيليب بنفسه في هذه المساعي مستخدماً التهديدات ، إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل، ولم يُفرج ويليام التاسع عن فولك الخامس إلا بعد أن اضطر والده، فولك الرابع، إلى التنازل عن عدد من القلاع الحدودية لصالح دوقية آكيتانيا [92]، مقابل إطلاق سراح ابنه، وتمثل هذه الواقعة مثالاً واضحاً على التنافس الحاد بين القوى الإقطاعية في فرنسا، واستخدام الرهائن والمقايضات الإقليمية كأدوات تفاوض شائعة بين الكبار في النظام الإقطاعي، حتى وإن كان ذلك على حساب روابط المصاهرة والولاء السياسي للملك ا[93]، وفي التاسع من تموز عام 1108م توفي العاهل الفرنسي فيليب في مدينة مولن(Mullen) ، حيث تم دفنه في دير سان بينو(San Benito) وليس في المقبرة الملكية في سان دوني(San Dino) ، اذ خلفه على العرش الفرنسي ابنه لويس السادس عام 1108م [94].

---

[87] باسكال الثاني: هو بابا روما عام 1099م ، اختير راهبا في ريعان شبابه من قبل البابا غريغوري السابع ، ثم رفع الى مرتبة القسيس، كما ان البابا اوربان الثاني عهد اليه بسفارة هامة الى اسبانيا؛ وبعد وفاة البابا اوربان اختير باسكال الثاني خلفاً له بابا على الكنيسة الرومانية. ينظر: عليه عبد السميع الجنزاوي ، البابوية والامبراطورية الرومانية، القاهرة ،2006،ص23.

[88] Yves of Chartres, op, cit,p.46.

[89] Historiae Francicae Fragmentum, Vols , Xll, op, cit, p.5.

[90] اكيتانيا: وهو الاقليم التاريخي الفرنسي الذي يمتد بين نهر الراين شرقاً وخليج غسقونياً غرباً وبين نهر اللوار شمالاً ونهر الجارون جنوباً استولى عليها كلوفس 507م، اذ اصبحت اكيتانيا منذ ذلك التاريخ جزءا رسمياً من ممتلكات الفرنجة وتضم خمس مقاطعات (الدوردوني، الجيروند ، اللاند، الوت الجاروني، البرانية).ينظر:
Larousse, pour Tous , Claud Auge, parise, Tome , premier Sans Date, 1139.

[91] Steven Runciman, History of the Crusades, Vol ll, Cambridge, 1952,p. 177; Yves of Chartres, op, cit,p.43.

[92] Steven Runciman, op, cit, p. 177; Yves of Chartres, op, cit,p.43.

[93] Ibid, p, 177; Ibid,p,43.

[94] Ibid, p 177; Ibid, p,43.

من الملاحظ ان حادثة احتجاز فولك الخامس من قبل ويليام التاسع، دوق آكيتانيا، رغم أنه كان مكلفاً رسمياً من قِبل الملك فيليب الأول بمهمة وصايته، نموذجاً صارخاً على التحديات التي واجهتها الملكية الكابية في فرض سلطتها على كبار النبلاء الإقطاعيين في أواخر القرن الحادي عشر في فرنسا.

الخاتمة :

– لم يكن استحواذ ال كابيه على السلطة هو عام 987م، وانما يرجع ذلك الى تتويج احد زعمائهم اودو عام 888م، واعجاب الفرنسيون بقوته وشجاعته في الدفاع عنهم وعن مدنهم ضد الهجمات الداخلية والخارجية، وهذا الامر جعل الكابيين متنفذين بقوة داخل فرنسا ، واصبحت لهم اراضي واتباع جعلهم يسيطرون على قوة الحكم .

– تمكن هيو كابيه من تمثيل النظام الاقطاعي في فرنسا ومسايرته ، لان النظام الاقطاعي انتشر بقوة واصبح لا يمكن لأي دولة تحكم دون الاعتماد على اسس اقطاعية ، وان وصول الكابيين الى العرش الفرنسي هو انتصار للأقطاع بحد ذاته ، وان الملوك الفرنجة اصبحوا احدى الاسر الاقطاعية حالها حال النبلاء المتواجدين في فرنسا، مما ادى الى ضعفهم وتتويج ملوك ال كابيه بديلاً عنهم.

– توج هيو كابيه ، ابنه روبيرت التقي مشاركاً معه الحكم ووريثاً للعرش، حتى يقضي على مبدأ التقسيم السابق الذي ادخل فرنسا في عصر من الحروب والصراعات الداخلية، وعمل هنري الاول كأسلافه بتتويج ابنه فيليب مشاركاً معه العرش الفرنسي للسيطرة على الحكم ومنع التدخل الاقطاعي بفرض سيطرته.

– كان زواج هنري الاول من الاميرة الالمانية ما هو الا شيئاً صورياً، وذلك لأنه لم يتم على ارض الواقع بصورة رسمية، اما ان الاميرة الالمانية كانت صغيرة ، او لأنها توفيت بعد الخطوبة، لكن القانون فرض ذلك الزواج.

– عمل هنري الاول على اعادة العلاقات بين الشرق والغرب ، وذلك من خلال زواجه من (**اَن الروسية**) ، ورغم بعد المسافات ، الا ان الملكة الجديدة وافقت على دخول البلاط الفرنسي والزواج من هنري، لتنجب له وريثاً للعرش وهو فيليب الاول.

– شكّل عهد فيليب الأول مرحلة مفصلية في مسيرة تطور الملكية الكابية، ليس بوصفه عهد توسّع إقليمي أو إصلاح إداري واسع، بل من حيث الاختبار السياسي العميق لمدى صلابة سلطة الملك وسط واقع إقطاعي متشظ، حيث كانت العلاقات بين الملك والنبلاء الكبار قائمة على التفاوض والمساومة أكثر من الطاعة والانقياد.

– واجه فيليب أولًا تحديات داخلية تتعلق بضعف الدومين الملكي، ثم تحديات خارجية ذات طابع ديني وكنسي، مثل النزاع الطويل مع البابوية بسبب زواجه من بيرترادا، الذي أفضى إلى حرمانه الكنسي ووضع المملكة تحت الحظر، ما كشف حجم التأثير البابوي في السياسة الداخلية للممالك الأوروبية؛ كما أبرزت تلك الأزمة ضعف قدرة الملكية الكابية في الدفاع عن خياراتها الشخصية والسياسية أمام هيمنة الخطاب الأخلاقي الكنسي المتشدّد في عصر الإصلاحات الدينية.

– يمثل عهد فيليب الأول مثالاً مهماً على تطور الملكية الوسيطة الواقعية في فرنسا، والتي أدركت أن الاستمرارية أحيانًا أكثر أهمية من التوسّع، وأن البقاء في الحكم وسط شبكات إقطاعية متمردة يتطلب حذراً ودراية سياسية أكثر من الشجاعة العسكرية، وهو ما مهّد الطريق في النهاية، لصعود ملوك أقوى كـ لويس السادس، الذي سيجني ثمار هذا النهج التأسيسي الحذر.

– يمثّل الصراع الممتد بين الملك فيليب الأول والبابا أوربان الثاني (ومن بعده باسكال الثاني) حول زواجه من بيرترادا حالة كلاسيكية من النزاع بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في الغرب الأوروبي الوسيط، ولم يكن هذا النزاع محصوراً في مسألة زواج غير شرعي، بل هو جزء من السياق الأوسع للإصلاحات الدينية، التي سعت إلى إخضاع الملوك للقيم الكنسية، ونزع الشرعية عن تدخلهم في الشؤون الدينية والأخلاقية، وخاصة في مسائل الزواج والوصاية.

– كشفت أحداث سياسية داخلية، مثل احتجاز فولك الخامس، أو التمردات المتكررة في اقاليم الفلاوندر وأنجو، عن هشاشة السلطة الملكية أمام الطموحات الإقطاعية الإقليمية، ولم يكن فيليب في موقع يمكنه من فرض السيادة على كبار التابعين، بل كان مضطراً إلى استخدام آليات الضغط الدبلوماسي أو البحث عن توازنات سياسية تُجنّب التاج الكابي الانهيار أو العزلة.

المصادر والمراجع.

اولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية.

أ. العربية.

1. محمود عبد الواحد محمود القيسي، العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية (768-814م) اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بغداد ، 2003.
2. نيفين ظاهر حسيب الكردي ،الاوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوربي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب , الجامعة الإسلامية , غزة ، 2000.

ب. الاجنبية.

1. Mark Hewett, King philhp l and Church , Ruling France in an Age of Reform PhD (Medieval Studies), Graduate Centre for Medieval Studies, Department of History, University of Reading,2025.

ثانياً: الكتب العربية والمعربة.

1. أ . ل . فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العريني، دار المعارف، مصر ، 1957 ج1.
2. أحمد زكي العدوي: قاموس الجغرافية القديم، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1899.
3. خرباوي باسيلوس، تاريخ روسيا منذ نشأتها الى الوقت الحاضر، مكتبة نيويورك العامة ، 1911.
4. سيرهنك اسماعيل، حقائق الاخبار عن دول البحار ، مصر،1894.
5. عبد السميع الجنزاوي ، البابوية والامبراطورية الرومانية، القاهرة ،2006.
6. عوض سمعان ، الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية، دار الاخوة للنشر ، ٢٠٠٩.
7. فرح نعيم ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، منشورات جامعة دمشق ، 2000–2001.
8. محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ط2، 1986.
9. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، عمان ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، 2004.
10. موسى محمد ال طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا 1066-1901، دار المعتز ، الاردن، 2016.
11. نظير حسان سعداوي، تاريخ إنجلترا ، دار النهضة العربية القاهرة، (د-ت).
12. بشارة كنعان، العالم الإنجليزي، الأسكندرية، (د-ت)،ج1.
13. محمد مرسي الشيخ، تاريخ في أوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 2000.
14. نور الدين حاطوم :تاريخ العصر الوسيط في أوربا ،ج١،(دار الفكر ، دمشق د-ت).
15. هارتمان و باركلاف ،الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف ، مصر ، 1970.
16. وليد فكري، تاريخ شكل تاني بحثا عن الحقيقة في صفحات مهجورة، الرواق للنشر والتوزيع، 2024.

ثالثاً: الكتب الاجنبية.

أ. الانكليزية.

1. A. Esmein, Le Marige en droit Canonique, Paris, 1891, pp.85-97.

2. AB,Augustine.thiener(AB.),AnnalsEcclesiastici(820-863),tomus Quartusdecimus, (Vatican, MDCCCLXVIII).
3. Crozet Rene, Le Voyage Urbain II et Ses Negociations avec al Clerge de France 1095-1096 , Revue Historique, VOI Clxxiv, 1937
4. Fawtier,Robert, The Capetian Kings of France Translated by Lionel Butler and Adam, London, 1959.
5. Harry Bresslau, Jahrbucher des Deutschen, Reichs unter Konrad ll , Vol lx, Leipzig, 1879.
6. Haskins, C H,The Northmenin the European History, New York, 1959.
7. Kathleen Nolan,Capetina Women, Palgrave Macmillan, 2003.
8. L. Humphreys, The Kings of France Their Wives and Mistresses , London, 1907.
9. Mark Hewett, King Philip l and Church , Ruling France in an Age of Reform PhD (Medieval Studies), Graduate Centre for Medieval Studies, Department of History, University of Reading,2025.
10. Oman C. ,The Dark Ages (476-918) , London , 1914 . .
11. Savage, The Catholic Univerity of America, Vol 3 U.S.A., 2003.
12. Steven Runciman, History of the Crusades, Vol ll, Cambridge, 1952.

ب. الفرنسية.

13. Caix de Saint Aymor, Ann de Russie, reine de France et Comtesse de Vallois au Xle siècle 2d Paris, 1896 .
14. Chronicum, S. Petri Vivi Senonensis, Auctore Clario Monacho, Recueil des Historiens des Gaules et de al France Vols XII, 1876-1877.
15. Duchesne, Andre Historiarum Francorum Scriptores, Vol .IV, Paris, 1641.
16. Fliche, Leregne de Philippe France, (1060-1108), Paris, 1912.
17. Glaber Rodulfus, Historiarum, Suimporis Libri Quinque, Recueil des, Historiens des Gaules de La Franse, Vol X, Paris, 1784,
18. Historiae Francicae Fragmentum, Recueil des historiens des Gaules et de la France Vols , Xl- XII, Paris, p.1874.
19. Halgaud, Epitome Vitae Roberti, RHGF, X, Paris, 1874.
20. Olivier Martin, Felix Les regencies et la ma jorite des rois (1060-1375) Paris, 1931.
21. Ordericus Vitalis, Ecclesiasticae Historia,Edited by August Le prevost VoI lll Societe de Histoire de France Vol, l, Paris, 1835-1855.
22. Pfister Christian, Etudes leregne de Robert le Pieux Bibliothegue, VOI LXIV, Paris, 1885.
23. Richer, Histoire de France (888- 995), ed. & trad. R. Latouche .tom. I, Paris, 1930.
24. Suger, Viede Louis Vlle Gros , Edited and Translated by Henri Waquet, Les Classiques de Histoire de France Moyen AGE, Vol, Xl, Paris, 1929,
25. Vita .S, Lietberti Episcopi Cameracensis , Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Vol, Xl, Paris, 1876.

26. William of Jumieges, Gesta Normannorum Ducum, Edited, by jean Marx, Paris, 1914.
27. Yves of Chartres, Correspondance, Edited and translated by jean Leclercq, Les classiques de Histoire de France au Moyen Ago, Vol,l, Paris, 1949.

ثالثاً: البحوث والدراسات العربية.

1. حسنين عبد الكاظم عجة، تدابير وليم الفاتح في مملكة انكلترا وانعكاساتها على مؤسسات الحكم والادارة فيها 1066-1087م، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، نيسان ، 2019.
2. عيادة عاشور هرهور، استخدام الحرب النفسية في خطبة البابا اوربان الثاني 1095م (مجمع كليرمون انموذجاً) مجلة جامعة الزيتونة ، العدد الثامن عشر، 2024.
3. علي رضا حذية، فرنسا في عهد الاسرة الكابية (987-1032م)،مجلة ابحاث في العلوم التربوية والانسانية والآداب واللغات، العدد 34، 2025.
4. فاطمة عبد اللطيف الشناوي ، مراسيم تتويج الملك الكارولنجي شارل الاصلع (823-877م) مجلة وقائع تاريخية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد7، 2007.
5. وفاء مختار غزالي، البابا يوحنا العاشر (914-928م)، مجلة العصور الوسطى والتاريخ الاسلامي ، العدد 1، المجلد 10 ، جامعة الازهر ، مصر 2016.

رابعاً: الموسوعات العربية والاجنبية.

أ. العربية

1. سعد البازغي ، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1999.
2. سليم بستاني ، دائرة المعارف ، المجلد العاشر ، مصر، 1898.
3. محمد خميس الزوكة ، اوربا دراسة في الجغرافية الاقليمية ، الاسكندرية ،1999.
4. محمد ابراهيم حسن ، جغرافية اوربا الاقليمية ، المكتبة المصرية للنشر والتوزيع ، 2014.

ب. الاجنبية.

1. Larousse, pour Tous , Claud Auge, parise, Tome , premier Sans Date, 1139.
2. Medieval France: An Encyclopedia, New York, 2006.